المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الشريعة

قسم الفقه

مقرر
العسكرية الإسلامية

تأليف
المحاضر/ إبراهيم بن محمد السلطان
عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد البحرية بالجبيل
د. ظاهر بن فخري الظاهر
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن الله ﷻ شرع الدين، وشرع ما يُقيمه ويحميه، فقال تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [الحديد:٢٥]. ولقد جاء الإسلام دعوة عامة للناس، إلى قيام الساعة، فكانت عنايته بتنظيم قواته ووسائله الدفاعية كبيراً، وكان شرفه العظيم في الالتحاق بتلك القوات.

ولقد سجَّلت العسكرية الإسلامية أكبر إنجازات شهدها العالم؛ نشرت الحق والعدل والخير على أكبر أجزاء العالم. ولا زالت ثمارها الطيبة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، إنه لا يُماثلها عسكرية في العالم، لا فكراً ولا نظاماً، ولا عمراً وتاريخاً، ولا إنجازاً وتجربة، ولا قِلَّة تكاليف.إن الناظر في الإنجازات العسكرية الإسلامية، يقطع يقيناً بأنها لم تكن تجربة عشوائية، ولا ضرباً من الحظ، وأن رجالها قد أُعدوا إعداداً متقدماً، ولكنها تجربة لم يسجلها أبطالها في مذكرات، ولم تسجل عنهم إلا في النَّزر اليسير. إن المتوفر من الدراسات في شؤون العسكرية الإسلامية، إنما هو أحكام الجهاد وتاريخ المغازي والسِّيَر، لكن العِلم الذي يُعد من خلاله القادة والعسكريين ليواجهوا مختلف المواقف الحربية والسلمية ويحققوا كسلفهم النتائج الباهرة، هذا مما يحتاج إلى تخصيص وزيادة اهتمام.

وفي هذا المقرر الدراسي إضاءة لمبادئ هذا العلم العظيم وهذا التخصص الهام، مما يشحذ هِمَّة العسكري المسلم إلى إدراك العلوم المتقدِّمة في العسكرية وأركان الحرب. ولقد حفل هذا الكتاب بالشواهد اللطيفة من القرآن والسنة، وبقصص ومواقف البطولات الإسلامية، ليُدرك القارئ عظمة الكنز المحفوظ في المصادر الإسلامية، والذي ينتظر من يكشفه ويتدبره، ليخرج بأعظم الفوائد. نفعنا الله ﷻ به في الدنيا والآخرة.

د. ظاهر بن فخري الظاهر

كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)

صفحة الموجز ١-١-١

(١) فضل العلم الشرعي، وآداب طلب العلم:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على فضل العلم الشرعي، وآداب طلب العلم، ويتعرف على الأدلة من الكتاب والسنة المتعلقة بالموضوع.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على فضل العلم الشرعي.

١-١ يتعرف الطالب على آداب طلب العلم.

١-٢ يتعرف الطالب على الأدلة من الكتاب والسنة المتعلقة بالموضوع.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

إن هذا الدِّين العظيم الذي بعث الله ﷻ به نبيه محمداً ﷺ هو الطريق إلى السعادة في الدارين، والحياة الطيبة للفرد وللمجتمع، والعلم هو الوسيلة إلى الدَّعوة إلى الله ﷻ وهداية العباد إليه ﷻ. ومن هنا أهتمَّ العلماء . رحمهم الله . بتأليف الكتب التي تتكلم عن آداب طلب العلم؛ ليتحلَّى بها الطالب في حياته، فمن أراد الانتفاع بالعلم فعليه طلبه والتمسك بآداب طالب العلم.

٢ -ملخص المواضيع:

أ -فضل العلم الشرعي.

ب -آداب طلب العلم.

صفحة الموجز ١-١-١

أولا: فضل العلم الشرعي:

إن هذا الدِّين العظيم الذي بعث الله ﷻ به نبيه محمداً ﷺ هو الطريق إلى السعادة في الدارين، والحياة الطيبة للفرد وللمجتمع، كما قال تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)** [النحل:٩٧]، ولهذا فإن أعظم وأنفع دعوة أن يُعلِّمك الله ﷻ هذا الدِّين ويهديك إليه، وهي الدعوة التي اختارها الله ﷻ لعباده في أعظم سورة في كتابه: **(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)** [الفاتحة:٦،٧].

إن العلم بدين الله ﷻ نعمة وشرف عظيم، فإنه إرث لأعظم وظيفة وهي النبوة، كما قال رسول الله ﷺ: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [رواه أبو داود والترمذي].

ولأن العلم هو الوسيلة إلى معرفة الله ﷻ وخشيته وعبادته، كما قال تعالى : **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)** [فاطر ٢٨]،ولهذا قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)** [طه:١١٤].

ولأن العلم هو الوسيلة إلى الدَّعوة إلى الله ﷻ وهداية العباد إليه ﷻ، كما قال عز وجل: **(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً)** (أي للقتال) **(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ)** (أي للقتال) **(لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ)** (أي ليتفقَّه بقية الفرقة) **(وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)** [التوبة:١٢٢].

قد اعتبر الرسول ﷺ طالب العلم مجاهداً في سبيل الله ﷻ فقال: (من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع) [رواه الترمذي وحسنه].

وفي [مسند الإمام أحمد] عن قبيصة ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ فقال: (ما جاء بك)؟، فقلت: كبر سِنِّي ورقَّ عظْمي، وأتيتك لتعلِّمني ما ينفعني الله به، فقال: (يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدَر إلا استغفر لك)، وقال ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة) [رواه مسلم]. حقاً إن الموفَّق من سلك طريق العلم الشرعي، وإن المحروم من الخير من أعرض عن تعلُّمه، يقول الرسول ﷺ: (من يُرِد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدِّين) [متفق عليه].

وإن العلم بالدِّين هو الأحق بالتنافس والتسابق، كما قال ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-١-١

ثانيا: آداب طلب العلم:

١) **الإخلاص لله ﷻ في طلب العلم،** بأن يقصد بطلب العلم طاعة أمر الله ﷻ بتعلُّم دينه، وما يخدم الدين ونيل ثواب طلب العلم، ولرفع الجهل عن نفسه وعن غيره للقيام بشرع الله ﷻ. وقد حذَّر الرسول ﷺ من التعلُّم رياءاً وسمعة، فذكر من بين الثلاثة الذين يقضى يوم القيامة عليهم أول الناس: (رجل تعلَّم العِلْم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمه فَعَرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال قارئ، فقد قِيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار) [رواه مسلم].

٢) **تقوى الله ﷻ، بتجنب معاصيه وعدم التفريط في فرائضه،** فإن الله ﷻ هو الذي يُعلِّم الإنسان ما لا يعْلم، فمن اتَّقاه علَّمه وهداه، قال تعالى: **(وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ)** [البقرة:٢٨٢]، وقال: **(إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً)** [الأنفال:٢٩]، وقال: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)** [الطلاق:٤]، وكيف لا يتقي المتعلِّم ربه!، وما فائدة التعلُّم إلا العمل به وتحقيق العبودية لله ﷻ وتحصيل ثوابه ومرضاته. علماً أن العَمَل بالعِلْم وتطبيقه مما يُثبِّت العِلْم ويوضِّحه.

٣) **توقير واحترام والمُعلِّم** الذي يعلم الناس الخير، كيف وقد قال ﷺ: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليُصلُّون على مُعَلِّمي الناس الخير) [حسنه الترمذي].
وتأمل ما قصه الله ﷻ في سورة الكهف من خبر موسى عليه السلام حين رحل لطلب العلم من الخَضِر عليه السلام، فتراه وهو يستأذن الخضر يقول: **(هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)** [الكهف:٦٦]، ويقول له: **(قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)** [الكهف:٦٩].

٤) **الحرص والصبر على تحصيل العلم** باتخاذ الأسباب المعينة على تحصيله، **ومنها:** الإستعداد البدني والذهني للدرس والتحضير له، والقرب من المعلِّم، وحسن الإنصات والمتابعة له، وتقييد المعلومات بالكتابة، وتكرار القراءة، وتنظيم الوقت، وصحبة المتفوقين، والبعد عن الكسالى والهازلين، وشحذ الهمة بسير العلماء والمجتهدين. فعن عمر رضي الله عنه قال: (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ؛ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك) [رواه البخاري].

صفحة الموجز ١-١-١

وروى [البخاري] قصة عقبة بن الحارث ﷺ الذي سافر من مكة إلى المدينة ليسأل الرسول ﷺ عن زوجته – وقد قيل إن امرأة قد أرضعتهما– فأفتاه الرسول ﷺ بفراقها.

وتأمل في قصة مجيء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ في هيئة طالب عِلْم يسأل ويتعلَّم؛ وذلك ليَرَى ويسمع ويتعلَّم الحاضرون، حتى سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ فجاء في أجمل هيئة ولباس: (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر)،وقد أحسن الجلسة، وأظهر الحرص والانتباه: (جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه)، كان يُتابع ولا يُقاطع.

وهذا لا شك من الدروس المفيدة في كيفية طلب العلم، ولهذا قال ﷺ لأصحابه بعد أن خرج جبريل عليه السلام: (هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم) [رواه مسلم].

صفحة الواجب ١-١-١

س١: تحدث عن فضل العلم الشرعي بإيجاز.

س٢: اذكر دليلاً من الكتاب ودليلاً من السنة على فضل العلم الشرعي.

س٣: عدد آداب طلب العلم.

س٤: اشرح واحداً من آداب طلب العلم، مع ذكر الدليل.

س٥: اذكر ثلاثة آداب للتعلم فعلها جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ في قصته الذكورة هنا.

صفحة الموجز ١-٢-١

(١) أهداف العسكرية الاسلامية، وأخلاق العسكرية الإسلامية:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أهداف العسكرية الإسلامية السامية التي بها كانت عسكرية حق وخير ورحمة، وكذلك أخلاق العسكرية الإسلامية حتى في معاملة غير المسلمين؛ فإذا سمى الهدف سمى الخُلُق.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على أهداف العسكرية الإسلامية.

١-٢ يتعرف الطالب على أخلاق العسكرية الإسلامية في معاملة الغير.

١-٣ يتعرف الطالب على الأدلة من الكتاب والسنة المتعلقة بالموضوع .

ج. موجز الدرس :

١ -المقدمة:

العسكرية الإسلامية؛ نظام وأشخاص ووسائل، شكَّلها الإسلام دين الله ﷻ في الأرض، لأهداف سامية كريمة، مجملها: (**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**) [الأنفال:٨]، ومن هنا كانت أخلاق العسكرية الإسلامية أخلاق سامية كريمة، وآداب عالية، حتى مع مخالفيها وأعدائها.

٢ -ملخص المواضيع :

أ -أهداف العسكرية الإسلامية.

ب -أخلاق العسكرية الإسلامية.

صفحة الموجز ١-٢-١

أولا: أهداف العسكرية الإسلامية:

١) إقامة ونشر الإسلام دين الحق والخير للبشرية، كما قال الله عز وجل: **(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ)** [الحج:٤١].

وحين دفع الرسول ﷺ الراية في غزوة خيبر إلى علي بن أبي طالب ﷺ قال له: (انفذ على رِسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعَم) [رواه البخاري].

٢) ردع من يحارب دين الله ﷻ ومن يصد عنه، ويمنع الدعوة إليه بطريق مباشر أو غير مباشر، حتى تكون حُرِّية الناس في اختيار الإسلام كاملة، تمهيداً لعموم الإسلام كل الأرض، كما قال عز وجل: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [الأنفال:٣٩].

٣) الدِّفاع عن النفس والمال والوطن والحرمات وتأديب المعتدين، قال الله عز وجل: **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)** [الحج:٣٩-٤٠]، وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ)** [الشورى:٣٩]، وقال تعالى: **(وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)** [التوبة:١٢- ١٣].

٤) نُصرة الأقليات الإسلامية المظلومة في دينها أو مصالحها، قال تعالى: **(وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا)** [النساء:٧٥]، وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ)** [الأنفال:٧٢].

صفحة الموجز ١-٢-١

٥) حفظ الاستقامة، والوحدة في المجتمع الإسلامي، بردع المرتدين والعُصاة والبُغاة، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)** [التوبة:٧٣]، وقال تعالى: **(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ)** [الحجرات:٩].

٦) منع الفساد والظلم في الأرض، ولو كان واقعاً من مسلم على كافر، فقد حرك الرسول ﷺ الجيش إلى قريش وفتح مكة حين اعتدوا على خُزاعة وقتلوا بعض رجالها ظلماً، ولم تكن خزاعة مسلمة آنذاك، وكان بينهم وبين الرسول ﷺ حِلفاً.

ويقول ﷺ عن حلف الفُضول الذي كان في الجاهلية بين قريش وبين بني كنانة لنصرة المظلوم: (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان، ما أحب أن لي به حُمْر النَّعَم، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت).

فمن حق العسكرية الإسلامية أن تُشارك غيرها لتحقيق العدل والخير في الأرض، كما قال تعالى: **(وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)** [البقرة:٢٥١]، وقال: **(إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ)** [المائدة:٣٣].

إن التسلُّط والتَّملُّك والشُّهرة وسائر المقاصد الدنيوية المجردة، لم تكن **هدفاً** من أهداف العسكرية الإسلامية والجهاد الإسلامي، يقول الله تعالى: **(وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)** [الأنفال:٤٧]، وقال تعالى: **(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا)** [الفتح:٢٦]، وقال تعالى: **(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ)** [الأنفال:٦٧]، ويقول تعالى: **(مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)** [هود:١٥-١٦].

صفحة الموجز ١-٢-١

وقال تعالى: (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) [القصص:٨٣]، ويقول الرسول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [متفق عليه].

وتأمل في هذا الحديث؛ سُئل رسول الله ﷺ عن: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رِياء، أي ذلك في سبيل الله؟، فقال رسول الله ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [متفق عليه].

وقال ﷺ: (إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه؛ رجل استشهد، فأتى به، فعرَّفه نِعَمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت: ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار) [رواه مسلم].

وبتلك الأهداف السامية كانت العسكرية الإسلامية عسكرية حق وخير ورحمة، وكانت حروبها عادلة، وليست استعبادية (استعمارية)، ولذا كان التوفيق حليفها، وكان لها القَبَول في كل مجتمع تحكمه، يقول ربعي بن عامر رضي الله عنه مندوب الجيش الإسلامي إلى قائد الفرس رُستم: (الله ابتعثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبِل منا ذلك قبلنا ذلك منه،ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نُفضي إلى موعود الله).

ثانيا: أخلاق العسكرية الإسلامية:

١) عدم **الإكراه** لأحد على اعتناق الإسلام، والتزام أحسن الطُّرُق في الدعوة إليه، كما قال تعالى: (**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) [النَّحل:١٢٥]، وقال تعالى: (**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) [البقرة:٢٦٥].

ولهذا وضع الإسلام نظام الذِّمَّة، فأبقى على أهل الكفر بين المسلمين، ونبذ الإسلام النفاق؛ لأنه لا يقبل إلا إسلاماً عن اقتناع.

صفحة الموجز ١-٢-١

٢) عدم قتال من لم تبلغه دعوة الإسلام، **وعدم قتال المسالمين** للدعوة وللمسلمين؛ فلا يُقتل الأطفال والنساء ولا الشيوخ ما داموا مسالمين، قال تعالى: (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**) [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: (**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**) [النساء:٩٠]، وفي [الصحيحين]: (أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان)، وجاء النبي ﷺ على امرأةٍ قتيل فقال: (ما كانت هذه لتقاتل) [حديث حسن رواه أحمد وأبو داود].

٣) عرض الجزية العادلة على الكفار المحاربين بحيث يدفعها القادرون منهم ، فيكف عنهم المسلمون، فعن بريده رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيراً)، إلى أن قال ﷺ: (وإذا لقيت عدوك من المشركين، فأدعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التَّحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا – أي أبوا الإسلام – فسلهم الجِزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) [رواه مسلم].

والجزية أقل من الزكاة التي تؤخذ من المسلم، يُراعى فيها حال الكافر، ولا تؤخذ من الفقير، وهي مقابل تحمُّل المسلمين عنهم الحماية والدفاع، فلوا استعان بهم المسلمون سقطت عنهم، ولو عجز المسلمون عن حمايتهم ردوها عليهم كما فعل أبو عبيدة رضي الله عنه مع أهل حمص.

٤) عدم **مؤاخذة العدو بماضيه** ومظالمه للمسلمين مهما كانت إذا أسلم وتاب، قال تعالى: (**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [التوبة:٥]، وقد أنكر الرسول ﷺ على أسامة رضي الله عنه قتله المشرك بعد أن استسلم وأعلن الشَّهادة.

صفحة الموجز ١-٢-١

٥) عند القتال يَنهى الإسلام عن الوحشية والإفساد؛ فنهى عن القتل بالتحريق، وعن التَّمثيل بالمقتول، وعن التدمير للأشجار والدواب والمنازل ونحوها من المنافع، مما لا علاقة له مباشرة بالحرب، يقول الرسول ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) [رواه مسلم]، وعن بريده ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال ﷺ: (اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدُروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدا) [رواه مسلم]، وعن عبدالله بن زيد ﷺ قال: (نهى النبي ﷺ عن النُّهبى والمثلة) [رواه البخاري]، ورجع ﷺ عن أمْره بتحريق بعض الكفار وقال: (إن النار لا يُعذِّب بها إلا الله) [رواه البخاري].

وروى [مالك في الموطأ] وصية أبي بكر ﷺ ليزيد بن أبي سفيان ﷺ وقوله: (إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له... وأني موصيك بعشر: لا تقتلنَّ امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرِماً، ولا تقطعنَّ شجراً مُثمراً، ولا تُخرِّبنَّ عامراً، ولا تعقِرَنَّ شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلته، ولا تحرقنَّ نخلاً، ولا تُغرقنَّه، ولا تغلل، ولا تجبن).
ومثل ذلك وصيته ﷺ لأسامة ﷺ على الجيش المبعوث إلى الشام.

٦) الإحسان إلى **الأسير**، وجواز إطلاقه بفداء، أو المنُّ عليه بإطلاقه بلا فداء، قال تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا)** [الإنسان: ٨-٩]، فقدَّموا الأسير على أنفسهم رغم الحاجة ولم يمتنوا عليه بذلك، لكن جعلوها فرصة لترغيبه في الإسلام فقالوا: **(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)** [الإنسان:٩]، وفي [الصحيحين] أن الرسول ﷺ منَّ على ثمامة بن أثال، وقال ﷺ: (استوصوا بالأسارى خيراً)، يقول أبو عزيز بن عمير أخو مصعب – وقد أسره بعض المسلمين ببدر –: (فكانوا إذا قدَّموا طعاماً خصُّوني بالخبز وأكلوا التَّمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة إلا نفحني بها، فاستحيي فأردها على أحدهم، فيردها عليَّ ما يمسها).

صفحة الموجز ١-٢-١

٧) **عدم قتل أو حبس رُسُل العدو**، بل يُمكنون من أداء رسالتهم، روى [الإمام أحمد وأبو داود] عن نُعيم بن مسعود ﷺ قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول لرسولَي مسيلمة حين قرأ كتابه: ما تقولان أنتما؟، قالا: نقول ما قال، قال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) وروى [الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح]: أن قريشاً أوفدت أبا رافع إلى النبي ﷺ فوقع الإيمان في قلبه، فقال: لا أرجع إليهم، وأبقى معكم مسلماً، فقال له رسول الله ﷺ: (إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، فارجع إليهم آمنا، فإن وجدت بعد ذلك في قلبك ما فيه الآن فارجع إلينا).

٨) **مشروعية إجارة المسلم لأحد الكفار الأعداء** ، قال تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ)** [التوبة:٦]، وعن أم هانئ بنت أبي طالب ﷺ قالت: قلت يا رسول الله زعم ابن أمي – تعني علي بن أبي طالب – أنه قاتل رجلاً قد أجرته؟، قال ﷺ: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (ذِمَّة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم) [رواه البخاري].

٩) **مشروعية المصالحة للعدو** ، ووجوب الوفاء بالمعاهدة معهم، يقول الله تعالى: **(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ)** [الأنفال:٦١]، وقال تعالى: **(إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)** [التوبة:٤]، والرسول ﷺ **نهى** عن الغدر، وفاء لهم بعهدهم، ومن **حِرص** الإسلام على مراعاة العهد، أنه لم يسمح للمسلمين بمفاجأتهم وحربهم بسبب بوادر الخِيانة التي ظهرت من هؤلاء الكفار،حتى يُعلمهم المسلمون أن العهد الذي بينهم قد انتقض، يقول الله تعالى: **(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)** [الأنفال: ٥٨]، وعن عمرو بن عبسة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلنَّ عهدا ولا يشدنَّه، حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء) [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

بل إن الإسلام راعى العهد ولو على حساب بعض المسلمين، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ)** [الأنفال:٧٢].

صفحة الموجز ١-٢-١

ومعلوم مصالحة الرسول ﷺ لمشركي مكة – قريش – في الحديبية، وما تضمنه ذلك الصلح من ردِّ من يُسلم منهم إليهم، ثم لا ينصره المسلمون حين تؤذيه قريش في دينه. وقد التزم الرسول ﷺ والمسلمون ﷺ بهذا العهد حتى نقضته قريش.

وفي غزوة (الأبواء) وادَعَ الرسول ﷺ مخشي بن عمرو الضمري ولم يكن مسلماً، وصالح يهود خيبر بعد أن فتحها على إصلاح نخيلها بشطر الثمرة إلى المدة التي يرغبها المسلمون.

١٠) جواز الاستعانة بالكفار، والتحالف معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك، فقد دخل الرسول ﷺ في جِوار المطعِم بن عدي وكان مشركاً وذلك حين صدته قريش عن دخول مكة بعد رجوعه من الطائف قبل الهجرة، وقد استأجر الرسول ﷺ عبدالله بن أريقط – وهو مشرك – دليلاً له في الهجرة التي هي أخطر خطة عسكرية قام بها رسول الله ﷺ، كما استعار ﷺ الأدرُع في غزوة حُنين من صفوان بن أمية قبل أن يسلم.

ونص ﷺ في عهد الذِّمة الذي بينه وبين يهود المدينة على المناصرة فيما بينهم وبين المسلمين، فقد جاء في وثيقة المعاهدة تلك: (وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا مُتناصر عليه... وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النَّصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبِر دون الإثم، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين).

وقد حالف الرسول ﷺ خُزاعة ولم تكن مسلمة، وحين اعتدت عليها قريش اعتبر ذلك نقضاً لصلح الحديبية الذي بينه وبين قريش، ولذا جهَّز الجيش إلى مكة ففتحها.

وأخبر الرسول ﷺ –غير مُنكِر–عن تحالف المسلمين مع النصارى آخر الزمان وقتالهم مجتمعين ضد عدو مشترك، فقال: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون.) [رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح].

و[للبخاري] عن عوف بن مالك ﷺ مرفوعاً: (ثم هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية أثنا عشر ألفاً).

صفحة الموجز ١-٢-١

١١) العدل مع الأعداء، والإحسان والشكر لمن يستحقه ولو كان كافراً، يقول عز وجل: **(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** [المائدة:٨]، وقال تعالى: **(وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)** [البقرة:٩٠]، وقال تعالى: **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** [الممتحنة:٨]، وقد هادَى الرسول ﷺ المقوقس النصراني حاكم مصر وقبِل هَداياه.

وتأمل كيف شكر ﷺ للمطعم بن عدي معروفه حين دخل في جواره بعد رجوعه من الطائف، وقد مات المطعم قبل غزوة بدر مشركا، ورفض الرسول ﷺ إطلاق أسرى بدر إلا بفدية ولم يقبل فيهم شفاعة، ولكنه قال: (لو كان المطعم بن عدي حيَّاً، ثم سألني هؤلاء النَّتنى لتركتهم له) [رواه البخاري].

وفي كتاب الخراج لأبي يوسف: (أن أهل حمص بعد أن فتحها المسلمون بدا لقادة المسلمين الجلاء عنها ليجتمعوا لقتال الروم، فأمر أبو عبيدة ﷺ أمراءه أن يردُّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوه من الجزية، فردوه، وقالوا لأهل البلاد: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك الآن، وقد رددنا ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم إن نَصَرنا الله عليهم، فقال أهل هذه البلاد: ردَّكم الله علينا، ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء، لوَلايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم) أ هـ.

وحين أراد المنصور بن أبي عامر شِراء أوقاف على كنائس لأهل الذمة منعه فقهاء (قرطبة). وحين غدر الإفرنج بمدينة (الإسكندرية) آخر محرم سنة (٧٦٧هـ) وعاثوا في أهلها فساداً كعادتهم، أراد السلطان أخذ الربع من أموال النصارى بالشام وغيرها لعمارة الإسكندرية ولغزو الإفرنج، فأفتى الإمام ابن كثير – رحمه الله – بأن هذا لا يجوز،وقال وهو يرد على نائب السلطة: (هذا مما لا يسوغ شرعاً، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذِّلة والصَّغَار، وأحكام الملة قائمة، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية).

وذكر صاحب كتاب الخراج: أن خالداً ﷺ أعلن في كتابه إلى أهل (الحِيرة) بالعراق حين فتحها تأميناً اجتماعياً ضد الشيخوخة والمرض والفقر، فقال فيه: (وجعلت لهم: أيما شيخ ضعف عن العمل

صفحة الموجز ١-٢-١

أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعِيل من بيت مال المسلمين وعيَاله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام).

يقول المارشال البريطاني (مونتجومري) في كتابه الحرب عبر التاريخ عن إنسانية المحاربين المسلمين: (كانوا يُستقبلون في أي مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية، وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة، وقد أدى هذا إلى اعتناق معظم الشعوب التي انتصر عليها العرب الدين الإسلامي)، ويقول جوستاف لوبون: (والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب).

إذا علم هذا، **فتأمل أخلاق العسكرية غير الإسلامية** من خلال فكرهم وعقيدتهم، ومن خلال واقعهم، لترى حقيقة قول الله تعالى: (**لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**) [التوبة:٨]، وقوله تعالى: (**قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**) [آل عمران:٧٥].

فالتوراة التي تؤمن بها اليهود والنصارى جميعاً مليئة بالتحريض لهم على التدمير والإفساد والإكراه للناس ونقض العهود والظلم؛ ففي سفر العدد (إصحاح ٣١) من التوراة: (وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار) يعني فعل بني إسرائيل بالفلسطينيين، **وفيه** أيضاً (إصحاح ٢٣): (هو ذا شعبٌ يقوم كلَبُوَة، ويرتفع كأسد، لا ينام حتى يأكل فريسة، ويشرب دم قتلى) يعنون الشعب الإسرائيلي، **وفيه** أيضاً (إصحاح ١٤): (يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يُبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع).

وفي **إنجيل** متَّى (إصحاح ٢٣) يقول المسيح عليه السلام لليهود: (فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، فاملؤا أنتم مِكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم).

ومن **جرائمهم البشعة** والتي سجَّلها القرآن الكريم مذبحة (الأخدود)، وهي معلومة في تاريخهم على يد ذي نواس اليهودي سنة (٥٢٤)م.

ويوم أن احتل **النصارى** بلاد (الأندلس) عاثوا في المسلمين قتلاً واغتصاباً، وأقاموا لذلك محاكم التفتيش ومناصب التعذيب، وحول (بيت المقدس) كانت حملات الصليبيين تسجِّل أبشع مظاهر القتل والتدمير، والتي جددها الاحتلال **الصهيوني** في (فلسطين) و(لبنان)، وفعل مثلها النصارى في (البوسنة) و(الهرسك) وفي (كوسوفا). ولم يكن **الهندوس والشيوعيون** بأقل بشاعة من اليهود والنصارى.

صفحة الواجب ١-٢-١

س١: عدد أهداف العسكرية الإسلامية؟.

س٢: من أهداف العسكرية الإسلامية (منع الفساد والظلم في الأرض) تحدث عن ذلك.

س٣: اشرح هدفين من أهداف العسكرية الإسلامية، مع ذكر الدليل.

س٤: عدد (خمسة) من أخلاق العسكرية الإسلامية بإيجاز.

س٥: من أخلاق العسكرية الإسلامية عدم الإكراه لأحد على اعتناق الإسلام، تحدث عن ذلك مع ذكر الدليل.

س٦: استأجر النبي رجلاً كافراً يدله طريق الهجرة، فمن هو؟.

س٧: من هو الملك النصراني الذي أهدى له النبي ﷺ وقبل هداياه؟.

س٨: للعسكرية عند بني إسرائيل صور مظلمة، تحدث عنها بإيجاز.

صفحة الموجز ١-٣-١

(١) إعداد القوة:

أ. مقدمة:

أعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على وجوب إعداد القوة وفوائد إعداد القوة ومطالب إعداد القوة من خلال الآية الكريمة [الأنفال:٦٠].

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على وجوب إعداد القوة.

١-٢ يتعرف الطالب على فوائد إعداد القوة.

١-٣ يتعرف الطالب على مطالب إعداد القوة.

ج. موجز الدرس

١ -المقدمة:

أمر الله ﷻ بالإعداد العسكري المبكِّر، بكل ما يستطيعه المسلم، وفي جميع جوانب القوة وعناصرها المعنوية والمادية، وبخاصة الوسائل والمراكب القتالية المتميزة في كل زمان بحسبه.

٢ -ملخص المواضيع :

أ- وجوب إعداد القوة.

ب- فوائد إعداد القوة.

ج- مطالب إعداد القوة.

صفحة الموجز ١-٣-١

أولا: وجوب إعدَاد القُوَّة:

يقول الله عز وجل: (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**) [الأنفال:٦٠].

ففي هذه الآية **أمر** الله ﷻ بالإعداد العسكري المبكِّر، بكل ما يستطيعه المسلم، وفي جميع جوانب القوة وعناصرها المعنوية والمادية، وبخاصة الوسائل والمراكب القتالية المتميزة في كل زمان بحسبه.

ثم **ذكَر** ﷻ فوائد وأهداف إعداد القوة، ثم **حثَّ** على الإنفاق لنصرة الإسلام.

وأخبر بأن الإنفاق عمل محفوظ عند الله ﷻ، تام الأجر لصاحبه لا ينقص منه شيء.فشملت الآية الأمر بإعداد القوة، ومطالب الإعداد من مراكب وأموال، وفوائده من ردع أعداء الدين الظاهرين والباطنين.

وقد عاب الله ﷻ على المتخلِّفين عن غزوة تبوك عدم إعدادهم للجهاد، وجعله شاهداً على نيتهم التَّخلف، فقال تعالى: (**وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً**) [التوبة:٤٦].
إن شعور الأعداء بقوة المسلمين أمر **وقائي** هام، ولذا أمر الله ﷻ المؤمنين في حق الكفار المعادين فقال تعالى: (**وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً**) [التوبة:١٢٣].

ومدح أصحاب رسول الله ﷺ بالشِّدَّة في حق الكفار فقال تعالى: (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**) [الحُجُرات:٢٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قصة عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة : (قدِم رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فقال المشركون: إنه يقدُم عليكم قوم قد أوهنتهم حُمَّى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرْمُلوا الأشواط الثلاثة) [متفق عليه]، وفي رواية قال ﷺ: (رحِم الله رجلاً أراهم من نفسه جَلَداً).

صفحة الموجز ١-٣-١

ثانيا: فوائد إعدَاد القُوَّة:

١) إخافة وإرهاب **أعداء الله** ﷻ المحاربين للإسلام، حتى لا يطعنون في الإسلام ولا يحاربون الدعوة إليه، هيبة للقوة التي تمثله.

٢) إرهاب ذوي المطامع المادية في المسلمين وديارهم، وإحداث الهزيمة النفسية لدى العدو، ورد أي عدوان طارئ على المسلمين.

٣) إرهاب وإسكات **العدو الباطن** وضعاف النفوس المندسين بين المسلمين؛ فلا يخذلون المسلمين، ولا ينالون منهم، أو على الأقل يبقون في الخفاء غير مبارزين بالعداوة، هيبة للقوة الإسلامية.

٤) إغاظة الكفار أعداء الله ﷻ حين يرون القوة الإسلامية ظاهرة، وهذا أدنى عقوباتهم الدنيوية التي يريدها الله ﷻ، ولهذا لما مدح الله ﷻ الصحابة ﷺ بالشدة والقوة التآزر، قال تعالى: (**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**) [الفتح:٢٩].

٥) تحصيل الصدَاقات والأنصار حتى من صفوف الأعداء، لحرصهم على كسب مودَّة القوة الإسلامية والأمن منها.

٦) جذب الناس وترغيبهم في دخول الإسلام، فمن المعروف تقليد الضعيف للقوي والمغلوب للغالب وإعجابه بفكره وعاداته، وربما ترك بعض الناس الشيء الحسن لاحتقارهم لأتباعه، كما في قول قوم نوح عليه السلام: (**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**) [الشُّعراء:١١١].

صفحة الموجز ١-٣-١

ثالثا: مطالب إعدَاد القُوَّة:

١) الإيمان الراسخ؛ بتحبيب المسلم لربه ولدينه، وتفقيهه فيه، حتى يكون باذلاً كل شيء لله ﷻ ولدينه، صادقاً في نصرته. فإن **سبب الخيانات** والعَمَالات للأجانب إنما هو ضياع الإيمان من القلوب، يقول تعالى: **(وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء)** [المائدة:٨١]، وانظر كيف جعل الله ﷻ عِلَّة التهرب من أداء الواجب العسكري الجهادي هو عدم الإيمان وفساد العقيدة، فقال تعالى: **(لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)** [التوبة: ٤٤-٤٥]، وصدق القائل:

شَـــعْبٌ بِغَـــيرِ عَقِيـــدةٍ وَرَقٌ تُذْرِيـــــهِ الرِّيـــــاح
مَـنْ خَـانَ حَـيَّ علَـى الصَّـلاةِ يخُـونُ حَـيَّ علـى الكِفَـاح

٢) الإخاء الإسلامي الصادق، وتطهير نفوس المسلمين وعلاقاتهم من الخلافات والعداوات، فإن ذلك طريق القوة وحقيقتها. وإن أهون مجتمع على العدو المجتمع المتنازع، فيضرب بعضهم ببعض وربما كسب ولاء بعضهم له، يقول الله تعالى: **(وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: **(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ)** [آل عمران:١٠٣].

٣) محبة الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ بتوعية المسلمين بفرضيته، وبفضله العظيم، وبسِيَر أبطال المسلمين وتاريخهم المجيد، وبحروب الكفار وعداءاتهم للمسلمين، وبالمستقبل المنتصر الموعود من الله ﷻ للمسلمين، يقول الله ﷻ محرِّضاً المسلمين على الجهاد بكل ما يستطيعون: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** [الصف:١٠-١٣].

ومما **يدل** على أن الجهاد أفضل العبادات، قول الله تعالى: **(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ)** [التوبة:١٩].

صفحة الموجز ١-٣-١

ويقول الرسول ﷺ: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جَرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجرِي عليه رزقه، وأمِن الفتَّان) [رواه مسلم]، وحين سأله بعض الصحابة ﷺ قائلاً: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟، قال ﷺ: (لا تستطيعونه)، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه)، ثم قال: (مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القانت بآيات الله،لا يفتر من صلاة ولا صيام،حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) [رواه البخاري ومسلم].

٤) **التعليم والتدريب العسكري المتميز**، وما يتطلبه ذلك من متخصصين ومرافق ووسائل، روى عتبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ؛ ألا إن القوَّة الرَّمي، ألا إن القوَّة الرَّمي) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً) [رواه البخاري]، وحتى قال ﷺ: (من علم الرمي ثم تركه فليس منا – أو – فقد عصى). **والرَّمي** يعم كافة وسائل القذف لتدمير الأهداف العسكرية؛ من البر أو البحر أو الجو.

إن هذا الإعداد هدف يُراعَى حتى في **الأنشطة الرياضية**، يقول الرسول ﷺ: (ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) [رواه مسلم]، والرسول ﷺ قد أجَرَى المصارعات، والمسابقات على الأقدام وعلى الخيل وعلى الإبل، وكان أبو بكر ﷺ وعمر ﷺ يخشيان على الجند من التَّنعم، وكان عمر ﷺ يوجِّه القادة إلى تعويد الجند على المشي بلا نعل- أحياناً- فكتب إلى نائبه في الشام: (انظر من قبلك من الجنود، فلينتعلوا وليحتفوا).

٥) **الأسلحة والمعدات والوسائل المتفوقة** وما يتبعها من المراكب و التحصينات والمرافق والمصانع والأنظمة والخطط المطلوبة للقطاع العسكري، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بذكر بعضه مما تتطلبه الحياة العسكرية في وقت التنزيل: (**وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**) [الأنفال:٦٠]، كما ذكر الله ﷻ إنزال الحديد لتوفير وسائل الحرب لنصرة الدين، فقال عز وجل: (**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [الحديد:٢٥]، وقال رسول الله ﷺ: (من احتبس فرسا في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شِبعه ورَيَّه ورَوثَه وبوله في ميزانه يوم القيامة) [رواه البخاري].

صفحة الموجز ١-٣-١

٦) **الاكتفاء الذاتي والاستقلالية** في جميع الجوانب، حتى تكتمل القوة الإسلامية ولا تكون ، مكشوفة خاضعة لغيرها؛ **انظر** كيف أن الرسول ﷺ حين قدم المدينة فوجد بئرها (رومة) في أيدي اليهود، حث الصحابة ﷺ على شرائها وقال: (من يشتري بئر رومة وله الجنة)، فاشتراها عثمان بن عفان ﷺ، فجعلها صدقة للمسلمين [البخاري].

هذا **ويجب** أن لا يقف الإعداد عند حدٍّ معيَّن: (**مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**) [الأنفال:٦٠]؛ لأن الاستطاعة متطورة، وكل اكتشاف ومعلوم يهيئ لما بعده، فالإعداد يجب أن لا ينتهي ولا يفتر، وخطط الطوارئ العسكرية لابد أن تُراجع دورياً وتجدد.

ومن أحسن **أمثلة إعداد القوة**: حادثة الهجرة النبوية، التي هي أهم وأخطر حدث عسكري أقدم عليه الرسول ﷺ فنجح فيه وكان له ما بعده من النجاح، لقد **هيَّأ** الرسول ﷺ المدينة للهجرة إليها؛ فنشر فيها الإسلام عن طريق وفود الحج من أهلها، وعن طريق الداعية – الموفق – مصعب بن عمير ﷺ، كما **حرَّك** إليها وفود المهاجرين من أصحابه ﷺ، **وبايع** أهلها على النصرة إن هاجر إليهم، وقبل أن يهاجر، **اختار** الرفيق، وأخذ في **إعداد** الرَّواحل، ووضع **خطة** الرحلة ووفر كافة متطلباتها.

روى [البخاري] عن عائشة ﷺ قالت: (قال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين. فهاجر من هاجر قِبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهَّز أبو بكر ﷺ قِبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: علَى رِسلك فإني أرجو أن يُؤذن لي، فقال أبو بكر ﷺ: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟، قال ﷺ: نعم، فحبس أبو بكر ﷺ نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السّمر أربعة أشهر)، ثم ذكرت عائشة ﷺ تجهيزهم لتلك الرحلة، ومكثهم في غار ثور ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر ﷺ ينقل لهما أخبار قريش في النهار، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ﷺ مولى أبي بكر ﷺ منحة من غنم فيشربان منها ليلتهما، وكان الرسول ﷺ وأبو بكر ﷺ قد استأجرا رجلاً من بني الديل هاديا خِرِّيتا، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال. إنك لا ترى **العشوائية** ولا المصادفة في شيء من هذه الهجرة، وهذا **التحرك العسكري الهام**. إن تحديد مكان الهجرة كان تحديداً محكماً، والذهاب إلى الغار كان عن اختيار دقيق لا مصادفة – فهو عكس اتجاه المدينة، وفي أعلى الجبل، عسر المرقى–، وكذلك كان إعداد متطلبات الهجرة؛ كالرفيق، والراحلة، والزاد، والدليل، والخادم أو مسؤول التموين، ومسئول الاستخبارات.

صفحة الواجب ١-٣-١

س١: اذكر الدليل من القرآن الكريم على وجوب إعداد القوة.

س٢: عدد ثلاث فوائد لإعداد القوة.

س٣: عدد أربعة مطالب لإعداد القوة.

س٤: من أحسن أمثلة إعداد القوة حادثة الهجرة النبوية، تكلم عن ذلك.

س٥: من مطالب إعداد القوة: (تحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقلالية)، تحدث باختصار.

صفحة الموجز ١-٤-١

(١) أسباب النصر:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أهمية الأخذ بأسباب النصر، ويتعرف على أسباب النصر الدينية والدنيوية.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على أهمية الأخذ بأسباب النصر.

١-٢ يتعرف الطالب على أسباب النصر الدينية.

١-٣ يتعرف الطالب على أسباب النصر الدنيوية .

ج. موجز الدرس

١ - المقدمة:

قرر رب العالمين سُنَّة الأسباب، فلا تتبدل ولا تتحول، فلا يتحقق أي أمر ألا بواسطة عمل معين، فتبذل الأسباب ثم تأتي النتائج، ولا بد للمسلمين من بذل الأسباب التي تؤهلهم ليتحقق النصر بإذن الله ﷻ، والأسباب على قسمين؛ دينية ودنيوية، وفي هذا الدرس سيتم ذكر تلك الأسباب تفصيلا.

٢ - ملخص المواضيع :

أ -أهمية الأسباب للنصر.

ب -أسباب النصر الدينية.

ج- أسباب النصر الدنيوية.

صفحة الموجز ١-٤-١

أسباب النصر:

أهمية الأسباب للنَّصر:

إن الله ﷻ جعل نظام الكون كله وفق سنن ثابتة: (**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**) [فاطر:٤٣]، وهذه السنن هي **نظام الأسباب**، أي أن يتحقق الشيء بواسطة عمل معين، ولهذا **أرسل** الله ﷻ الرُّسل، **وأنزل** الكتب، **وشرع** الجهاد، **وأمر** بالتَّعلم وبالكسب وبالعلاج والوقاية، ولو شاء الله ﷻ لتحققت النتائج بدون تلك الأسباب: (**لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا**) [الرعد:٣١]، ولكنها سنة الأسباب التي قررها رب العالمين، فلا تتبدل ولا تتحول.

حتى إن الله ﷻ راعى نظام الأسباب في **المعجزات** والكرامات؛ فلم يَشق البحر لموسى عليه السلام إلا حين ضرب موسى البحر بعصاه، ولم يُسقط الرطب لمريم عليها السلام إلا بهزِّها جذع النخلة، وحتى إن الله ﷻ حين أنزل الملائكة عليهم السلام بعدد جيش المشركين – نصراً للمسلمين ببدر – لم يجعلهم يقاتلون بقدرتهم الملائكية، وإلا لكان طرف جناح جبريل عليه السلام كافياً أن يقضي على جيش الكفر. إنه نظام الأسباب، وإلا لما احتاج الأمر إلى ملائكة ولا غيرهم: (**وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**) [محمد:٤].

إن المسلمين السلف انتصروا وفق نظام الأسباب، ولن ينتصر المسلمون اليوم إلا وفق نظام الأسباب.
وهذه الأسباب لم تختلف في الحاضر عنها في الماضي من حيث الحقيقة، وإن اختلفت اختلاف تنوع ووسائل.

ويمكن **تقسيم أسباب النصر إلى قسمين:**
أولا: الأسباب **الدينية؛** كالإيمان والدعاء ،وهذه خاصة للمسلمين .
ثانيا: الأسباب **الدنيوية؛** كالأسلحة والخطط الجيدة وهذه عامة يشترك فيها البشر.

صفحة الموجز ١-٤-١

أولا: أسباب النَّصر الدينية:

١) تقوى الله ﷻ:

فإن الله ﷻ قد وعد بنصر المؤمنين الطائعين له المجتنبين معاصيه، قال تعالى: **(فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** [الرُّوم:٤٧]، وقال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)** [الحج:٢٨]، وقال تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)** [الطلاق:٢]، وقال تعالى: **(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** [الأعراف:١٢٨]، وقال تعالى: **(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)** [النحل:١٢٨]، وقال تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)** [الأنعام:٨٢] ، وقال تعالى: **(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** [يُونس:٦٢]. وإنما **الرُّعب** الذي يَنصر الله ﷻ به المسلمين هو هيبة الإيمان، حتى إن عدوهم ليستسلم لهم رغم المسيرة البعيدة بينهما، يقول الرسول ﷺ: (نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر) [رواه البخاري]، إنه لا أشأم على الإنسان من معصية الله ﷻ، يقول الله عز وجل: **(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)** [آل عمران:١٥١]. وقال تعالى: **(ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)** [الأنفال:١٨]، وكان أول أسباب النصر التي دعا بها المجاهدون مغفرة ذنوبهم: **(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** [آل عمران:١٤٧].

ولهذا حذَّر الله ﷻ من المعاصي وبخاصة الرِّبا في سورة آل عمران أثناء حديثه عن غزوة (أحد) وما أصاب المسلمون فيها من بلاء.

ولهذا كانت وصيَّة الرسول ﷺ وخلفائه من بعده لجميع قادتهم: أن يتقوا الله ﷻ ويحذروا معصيته؛ كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ: (أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله ﷻ على كل حال، فإن تقوى الله ﷻ أفضل العُدَّة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ﷻ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعدتهم، ولا تقولوا: إنَّ عدوَّنا شرٌّ منَّا، فلن يُسلَّط علينا وإن أسأنا، فربَّ قوم سُلِّط عليهم شرٌّ منهم، كما سُلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله ﷻ

صفحة الموجز ١-٤-١

كفرة المجوس: (**فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً**) [الإسراء:٥]، واسألوا الله ﷻ العون على أنفسكم، كما تسألونه النَّصر على عدوكم) أ هـ.

ومصداق هذه الوصية: حادثة غزوة (أحد)، وما أصاب الرسول ﷺ، وما أصاب المسلمين فيها من جراح وقتل وبلاء، حين خالف بعض الرُّماة أمر الرسول ﷺ أن لا يغادروا مواقعهم. فبمعصية من أفراد قليلين جداً سلط الله ﷻ جيش العدو المشرك عليهم جميعاً، حتى تعلم الأمة شؤم المعصية، وسجل الله ﷻ ذلك فقال: (**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ**) [آل عمران:١٥٢].

إن عظمة الله ﷻ وتقواه حين تخف في قلوب الجند المسلمين، يعاقبهم الله ﷻ **بعقوبتين؛** يَنزع مهابتهم من قلوب أعدائهم، ويُلقي في قلوبهم الجُبن، فيفقدون النَّصر والعزَّ – ولو كان جمعهم كبيراً – يقول الرسول ﷺ: (يُوشك أنْ تَدَاعى عليكم الأمم من كل أُفق، كما تداعى الأَكَلة إلى قصعتها، قالوا: يا رسول الله أمِن قِلَّة بنا يومئذ؟، قال: أنتم كثير، ولكنكم غُثَاء كغُثَاء السيل، ينزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوَهن، قالوا: وما الوهن؟، قال: حب الحياة وكراهية الموت) [رواه أحمد وأبو داود].

٢) إخلاص الجهاد لله ﷻ وقصد إعلاء كلمته:

فإنما المقاتل الموعود بالنصر من الله ﷻ هو المقاتل في سبيله، المناصر له، قال تعالى: (**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**) [محمد:٧]، وقال تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**) [النساء:٧٦]، ويقول الرسول ﷺ: (تضمَّن الله لمن خرج في سبيله؛ لا يُخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برُسلي، فهو ضامن عليَّ أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة) [رواه البخاري ومسلم].

إن الغنيمة والسبي من الأمور المباحة في الإسلام ولكنها مطلوبة لإعلاء دين الله ﷻ كما فعل الرسول ﷺ حين خرج إلى بدر لسلْب قافلة المشركين التي يقودها أبو سفيان. أما القتال لأجل المغنم أو لأجل الوطن بغير قصد نصرة دين الله وإعلاء كلمته فليس ذلك من الجهاد في سبيل الله.

صفحة الموجز ١-٤-١

فقد سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويُقاتل حميَّة، ويُقاتل رِياءً، أي ذلك في سبيل الله؟، فقال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [متفق عليه].

وقد ذكر الله ﷻ من **أسباب هزيمة** المسلمين بـ (أحد) إرادة الدنيا، وهي التي أوقعت بعض الرماة في المعصية، فقال تعالى: (**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**) [آل عمران:١٥٢]،وقد وقع مثل ذلك أول الغزوة في (حُنين).

٣) التوكل على الله ﷻ:

فيَعتقد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله ﷻ له، وأن النصر من الله ﷻ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ، ولا يَرى نفسه غنياً عن الله ﷻ مهما توفر لديه من قوة، ويعتقد أنه لا يقف أمام قوة الله ﷻ أي قوة أخرى. وهذا **المعنى** معلوم أثره نصَّاً وواقعاً، يقول الله عز وجل: (**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**) [الطلاق:٢]، ويذكر الله ﷻ موقف الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ من مشركي قريش عقب غزوة (أحد)، فيذكر توكلهم عليه وأثَر ذلك، فيقول تعالى: (**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ۞ الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**)[آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

ولتدرك **خطر** هذا المبدأ، انظر ما حدث للمسلمين في غزوة (حُنين)، حين أعجبوا بكثرتهم، فلم تُغن عنهم شيئاً، وسلَّط الله ﷻ عليهم العدو الكافر، فلم يثبت منهم إلا أفراد يُعدون على الأصابع، وكاد أن يُقضى عليهم لولا رحمة الله ﷻ ونصره، ليوقنوا أن النصر من الله ﷻ، فيتوكلوا عليه وحده، قال الله تعالى: (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ**) [التوبة: ٢٥.٢٦].

وحين ذَكَر الله ﷻ ما أحلَّ **بيهود بني النَّضير** من الهزيمة، ذكر استغناءهم بقوتهم، وأمنهم من مكر الله ﷻ، فقال تعالى: (**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**) [الحشر:٢].

صفحة الموجز ١-٤-١

إن لله ﷻ جنوداً لا يُحيط بها إلا هو ﷻ:(**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) [الفتح:٤] ، وقال تعالى: (**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**) [المدثر:٣١]، فإذا كان اعتماد العبد على الله ﷻ وحده، أيدَّه بجند من جنوده العظيمة، يقول الله تعالى: (**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**) [الطلاق:٣]، أي كافية ما يهمه.

فلقد نصر الله ﷻ المؤمنين في (بدر)؛ بالملائكة وبالمطر وبالنُّعاس وبقبضة من تراب، وبتكثيرهم في أعين العدو، وألقى الرُّعب في قلوب (بني النضير) فاستسلموا وأرسل الريح الباردة الشديدة على (الأحزاب) فانهزموا، ولقد ذكَّر الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين بأن لا يعتمدوا على شيء من هذه الجنود، فقال تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [الأنفال:٩-١٠]، وقال تعالى: (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [الأنفال:١٧].

٤) ذِكر الله ﷻ كثيراً:

يقول الله ﷻ مرشداً إلى أهم أسباب النصر: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ**) [الأنفال، آية: ٤٥]، وذِكر الله ﷻ هو وسيلة القرب من القوي العزيز ﷻ الذي بيده النصر، وبالذِّكر تطمئن القلوب وترتفع الهِمم: (**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) [الرعد:١٢٨]، ومن الذِّكر إقامة الصلاة كما شرع الله تعالى: (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**) [طه:١٤] وقال تعالى: (**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**) [البقرة:٤٥]، فالصلاة من أعظم أسباب العون والنصر للمجاهد .

٥) الدُّعاء:

فقد **وعَدَ** الله ﷻ الدَّاعين بالإجابة وبخاصة المقاتلين في سبيله يقول تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) [البقرة:١٨٦]، **وأخبر** ﷻ عن دعاء المسلمين ببدر، فقال تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ**) [الأنفال:٩].

صفحة الموجز ١-٤-١

وأخبر الله ﷻ عن دعاء أتباع طالوت عليه السلام فقال تعالى: **(وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ)**[البقرة:٢٥٠-٢٥١]، ويقول الرسول ﷺ: (ثنتان لا تُرَّدان؛ الدّعاء عند النِّداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا) [صحيح رواه أبو داود]، وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقيِ فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)، ثم قال: (اللهم مُنزل الكتاب، ومجري السَّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم) [رواه البخاري ومسلم].

ثانيا: أسباب النَّصر الدنيوية:

لا يشك المسلم أن النصر من الله ﷻ، كما أن الرزق والشفاء والهدى منه تعالى: **(أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)** [الملك:٢٠]، ولكنه ﷻ جعل للإنسان مشيئة وقدرة، فكلَّفه وأمره بمقتضى هذه المشيئة وهذه القدرة أن يتبع الأسباب التي تُوصله إلى النصر والرزق والشفاء والهدى. فمن **لم** يأخذ بالأسباب فقد خالف أمر الله ﷻ، ومن ظنَّ أن التوكل على الله ﷻ وحده يقتضي ترك الأسباب، فقد اعتقد أن الأسباب يمكن أن تؤثِّر دون إذن الله ﷻ وتدبيره، وإلا لما تركها.

فمعطِّل الأسباب إما عاص أو مشرك أو جاهل، والذي **يأخذ** بالأسباب الصحيحة هو المتوكل على الله ﷻ حقًّا، المعتقد أن كل شيء لا يخرج عن تدبيره ومشيئته، بل لا يظهر ويصدق توكُّل العبد على الله ﷻ، إلا مع توفر أسباب الاستغناء للعبد،وإلا فأي زهد عند الفقير، وأي عفاف عند العاجز!.

وحتى لا يفصِل المسلم بين (التوكل) وبين (فعل الأسباب)، أو بين الأسباب (الدينية) وبين الأسباب (الدنيوية)؛ انظر كيف يجمع الله ﷻ بينهما في نصوص كثيرة، بل يُقدِّم الأسباب الدنيوية على الأسباب الدينية كثيرا، يقول الله تعالى: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى: **(وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)** [البقرة:٤٥]، وقال تعالى: **(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)** [آل عمران:١٢٠]، وقال تعالى: **(بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)** [آل عمران:١٢٥].

صفحة الموجز ١-٤-١

إذا عُلم هذا فالآن نذكر **أهم الأسباب الدنيوية للنَّصر**:

١) القيادة المتميزة:

القائد هو العقل المدبِّر، والقدوة لمن معه، فهو كالرأس من الحربة أو القلب من الجسد، بصلاحه يصلح من وراءه، وبكفاءته تُتقن الخطط وتُتحقق النتائج بإذن الله ﷻ، ولهذا طلب بنو إسرائيل من نبي لهم بعد موسى عليه السلام أن يختار لهم ملكا كفوءاً يقودهم للجهاد فاختار من بينهم طالوت، فحقق الله ﷻ النصر على يده [البقرة:٢٤٦].

ولأجل هذا فإنه يُطلب في القائد من **الصفات** ما لا يُطلب في غيره؛ كالشجاعة، والحزم، والصبر، والذكاء، والسياسة، وبعد النظر، والمعرفة، والحماس، والعدل، واللياقة البدنية، وثقة الجند. **والمهم** أن يكون مؤهلاً لتحقيق الهدف، وقد كان الرسول ﷺ وخلفاؤه رضي الله عنهم ومن بعدهم يُولُّون القيادة العسكرية عن معرفة وتجارب واختبار للأشخاص؛ وقد اختار الرسول ﷺ أسامه ابن زيد رضي الله عنه لقيادة الجيش لغزو الروم، رغم صِغر سِنه، نظراً لأهليته التي يعرفها منه، وهو رضي الله عنه وأبوه زيد بن حارثة رضي الله عنهما اللذان تربَّيا عنده ﷺ، وكان أبوه قُتل في غزوة (مؤتة) أمام الروم، فكان الأولى أن يولِّي غزوهم إلى ابنه. وما كان اختيار رسول الله ﷺ للقادة إلا أحسن الاختيار وأنجحه ، ولهذا قال ﷺ فيمن طعن في إمارة أسامة رضي الله عنه: (إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة) [متفق عليه].

٢) الجنود الأكفاء :

سواء من حيث العدد أو من حيث النوع، فيُراعى في **كفاءة الجندي**؛ لياقته البدنية، وشجاعته القلبية، وذكاؤه العقلي، وصبره، ورغبته الصادقة، وهِمَّته العالية، وروحه المرتفعة، وعِلمه وخبرته العسكرية، وأخلاقه وانضباطه الذاتي.

وقد كان هذا **الأمر** محل اهتمام الرسول ﷺ، فكان يُخرج من جيشه الصِّغار، وكان يختبر كفاءة الرجل ليعرف مدى صلاحيته للجهاد.

ومن المعلوم أن **علو النَّوعيَّة** تعدل كثيراً النَّقص العَدَدي والعَتَادي ولو كان أضعافاً، ولهذا انتصرت جيوش الإسلام – غالباً – رغم أنها في كل المواقع أقل عَدداً وعَتاداً من العدو؛ لأن جند الإسلام كانوا أكفأ تقوى وصدقاً وصبرا وأداءً.

صفحة الموجز ١-٤-١

ولأهمية وأثر الكفاءة النوعية؛ كان القائد يُرسل إلى الخليفة يطلب منه مدداً بالآلاف، فيرسل له الخليفة رجلاً أو رجلين، لعلمه أنهم يعدلون العدد المطلوب.

وانظر كيف تغير **الحكم الشرعي** حينما تغيَّر حال الصحابة ﷺ بانضمام الذين أسلموا حديثاً بعد الهجرة إلى الأوائل ممن أسلموا قبل الهجرة واعتادوا على مواجهة الشدائد، فقد خفَّف الله ﷻ حكم ثبات المسلم أمام (العشرة) من العدو إلى (اثنين) من العدو، مراعاة للنَّقص النَّوعي في المسلمين، فقال عز وجل: (**إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ۞ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [الأنفال: ٦٥-٦٦].

ومن **الشواهد** على **الكفاءة العالية** للجند المسلمين: المسير المتواصل للجيش الإسلامي عقب غزوة المريسيع (بني المصطلق)، رغم الحرب ومشقتها، فقد حرَّك الرسول ﷺ الجيش طيلة (٣٠ ساعة) متواصلة.

وهذا خالد بن الوليد ﷺ سار وجيشه من (العراق) إلى (اليرموك) بالأردن مسافة تقرب من (٩٠٠ كم) في خمسة أيام، رغم صعوبة الطريق وضعف الوسائل قديماً.

ومن **دلائل كفاءة الجيش الإسلامي**: تحمُّلهم الجوع والحاجة دون تقصير في أداء مهامهم؛ **يقول** سعد بن أبي وقاص ﷺ: (لقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الحلبة وهذا الشجر، حتى كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط) [متفق عليه]، **وقال** جابر بن عبدالله ﷺ: (بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة ﷺ نتلقى عيراً لقريش، وزوَّدنا جِرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة ﷺ يعطينا تمرة تمرة، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصيِّنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله) [رواه مسلم]، **وقال** أبو موسى الأشعري ﷺ: (خرجنا في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف علينا الخِرق، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-٤-١

أما **الانضِباط والطَّاعة** فشيء عجيب، حتى إن الجيش ليستعد للقتال دون أن يسأل القائد عن جهة الغزو، وربما كان جيشاً كبيراً؛ كجيش الفتح، ومع هذا يحافظون على سرِّ جهة الغزو، فلا يعلم بها أحد حتى يفاجئوا عدوهم .

وتقتضي **العناية باختيار الجند الأكفاء** لتحقيق النصر، الحذر من **الدُّخَلاء من البِطانات السيئة؛** كالمنافقين والمنهزمين والمخذلين، فإنهم أسباب للهزيمة، ومنفذ للعدو على المسلمين بلا شك، يقول الله ﷻ عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك: **(لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)** [التوبة:٤٧].

ولهذا **حذَّر** الله ﷻ منهم، فقال تعالى: **(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ)** [المنافقون: ٤]، وقال عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)** [آل عمران:١١٨]، **والواقع** يشهد بذلك؛ فقد انخذل المنافق عبدالله بن أبي ابن سلول بعدد كبير من الجيش الإسلامي في غزوة (أحد)، حيث كان رأيه القتال داخل المدينة – عكس رأي أكثر الصحابة ﷺ وبخاصة الشباب، فقال: (أطاع الصِّبيان وعصاني!).

ومن **المبادئ القتالية** الهامة **لرفع كفاءة الجند؛** رفع معنويات الجيش وإدامتها، وهذا ما نبَّه الله ﷻ إليه، فقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ)** [الأنفال:٦٥]، وكان الرسول ﷺ والقادة من بعده يستخدمون الخطب الحماسية قبل المعركة، ويبشِّرونهم بالجنة، حتى إن المقاتل ليلقي التَّمَرات مستطيلا الحياة دون الجنة. وقال ﷺ يوم خيبر: (لأُعطينَّ الرَّاية غداً رجلاً يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله يفتح الله عليه). **وربما** قُرِئ في الجيش سورة الأنفال، **وربما** استخدموا الشعر الحماسي. **وقد** يعيِّن القائد في الجيش من يقص عليهم أيام العرب وانتصارات الإسلام الأولى ليبعث النَّخوة في نفوسهم، وكان الرسول ﷺ يُطلق ألقاب التَّشريف على المبرزين في القتال، **مثل:** خالد بن الوليد ﷺ (سيف الله)، وحمزة بن عبدالمطلب ﷺ (أسد الله).

صفحة الموجز ١-٤-١

ومن **الأساليب البليغة** في رفع كفاءة الجند؛ تقسيم كتائب الحرب بحسب الانتماء القبلي أو المكاني أو اللغوي أو غير ذلك، فكان الرسول ﷺ يجعل كتيبة للمهاجرين وكتيبة للأنصار، وقد يجعل لكل قبيلة أو عشيرة راية يقاتلون تحتها، إثارة لروح المنافسة والنخوة في نفوسهم.

ومن **الأساليب المؤثِّرة**؛ إعلان السَّلَب لمن قتل قتيلا من العدو.

ومن **أقوى الأساليب**؛ أسلوب البيعة، وقد استعمله الرسول ﷺ مع الأنصار عند العقبة قبل الهجرة إليهم، **وكذلك** فعل عند القتال، فبايع على الصبر وعدم الفرار، وبايع على الموت، ومن ذلك بيعة (الرِّضوان) المعروفة في الحديبية،حين حبست قريش عثمان بن عفان ﷺ الذي أرسله النبي ﷺ ليفاوض قريشاً ويحاولهم في السماح للمسلمين بالعمرة فظنَّ المسلمون أن قريشاً قتلوه، فعزموا على قتالهم وتبايعوا على الموت، يقول الله تعالى: **(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)**[الفتح:١٨]، يقول سلمه بن الأكوع ﷺ: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خفَّ الناس، قال ﷺ: (يا ابن الأكوع ألا تبايع)؟، قال: قلت: قد بايعت رسول الله، قال ﷺ: (وأيضاً)، فبايعته الثانية، فقيل لسلمة: على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟، قال: على الموت) [رواه البخاري].

٣) الأسلحة والوسائل المتفوقة :

ماذا تفعل الأعداد الكبيرة من الجنود أما السلاح المتطور، الذي ربما استعمله شخص واحد فقضى به على المئات بل ربما الآلاف، ولهذا كانت **الآلات والوسائل القتالية** محل عناية الإسلام، يقول الله تعالى: **(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)** [الأنعام:٦٠].نعم أن التفوق في الوسائل القتالية يحقق الإرهاب والهزيمة النفسية للعدو، تمهيداً للهزيمة المادية الشاملة.

وللدور الكبير **للخيل** في التاريخ الجهادي للإسلام، مجَّدها الله ﷻ، فأقسم بها فقال تعالى: **(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)** [العاديات:١-٥]، وقال الرسول ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر والمغنم) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-٤-١

أما **آلات الرَّمي**، فقد بلغ من اهتمام النبي ﷺ بها، أنه قال: (من علم الرَّمي ثم تركه فليس منا)، وقال ﷺ مُحرِّضاً على تعلُّم الرَّمي: (ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (ألا إن القوَّة الرَّمي، ألا إن القوَّة الرَّمي) [رواه مسلم].

وقد كانت **الوسائل القتالية**؛ هجومية أو دفاعية أو إمدادية أو غيرها، محل عناية الرسول ﷺ، وقد استعمل كافة الأسلحة الموجودة في زمنه؛ كالسيوف والرماح والنبال، واستعمل التروس، والدروع والخوذ، واتخذ الحصون، والخنادق.

وكان اهتمامه أكبر شيء **بالرَّمي**، حتى كان له في (أحد) فِرقة للرُّماة خاصة، وكانت الوسيلة التي حولت هزيمة (حُنين) إلى نصر وأنقذت الموقف، هي الرمي.

أما **المراكب القتالية**؛ من خيل وإبل مدرَّبة، فقد طوَّرها الرسول ﷺ تطويراً كبيراً، فكان ﷺ في (بدر) معه فَرَسان **وسبعون** بعيراً، لكنه في غزوة (تبوك) كان عدد الراكبين **عشرة آلاف** من بين ثلاثين ألف مقاتل.وقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية أن عروة بن مسعود ﷺ وغيلان بن سلمة ﷺ لم يحضرا حصار الطائف، إذ كانا (بجَرَش بالأردن)، يتعلَّمان المنجنيق والدبابات.

٤) الخطة الجيدة المتقنة:

إن إعداد الخطة القتالية وتوفير مطالبها وحسن تنفيذها، يعني تحقيق النصر بإذن الله ﷻ، ما دام هذا الإعداد والتوفير والتنفيذ على وجه جيد متقن.

والخطط العسكرية على قسمين:

١. خطط عامة أو إستراتيجية.

٢. خطط خاصة؛ كخطة تنفيذ معركة أو مهمة معينة.

وقد كانت للرسول ﷺ **خطته العامة** التي تزن الأمور وتحدد الأولويات للوصول إلى الهدف الأعلى: (**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**) [البقرة:١٩٣]؛ ولذا مكث (ثلاث عشرة) سنة في محاولةٍ مع قريش لعلهم يسلمون، وحين لم يتحقق، ذلك بحث عن قاعدة أخرى تنطلق منها دعوته (الطائف)، ثم انتهى إلى (المدينة) بعد أن هيأها لذلك. وكان **ضمن خطته العامة:** مواجهة أعداء موجودين أو محتملين؛ منهم قريش، ومنهم اليهود، وسائر مشركي العرب، ومن ورائهم الروم والفرس.

صفحة الموجز ١-٤-١

فكانت **الأولوية في خطته العامة**: تأمين قاعدته من داخلها، فأجرى المعاهدة مع اليهود منذ قدم المدينة، ثم انطلق لأكبر خصومه (قريش) فحاربهم.

ولأنه لم يكن يتصرَّف بعيداً عن خطته العامة، فقد قبِل بصلح الحديبية، ولم يقاتل قريشا رغم قدراته عليهم؛ مراعاة لأحداث متوقعة، فإنه يخاف أن يستغلَّ اليهود في (خيبر) انشغال المسلمين بحرب قريش – مع بُعد المسلمين حينئذ عن المدينة – فيغزونها؛ ولذا رجع بعد الصلح مباشرة ففتح خيبر.

وأما **رسم خطة المعركة** فأمر بَدَهي في كل قيادة عسكرية، وقد ذكر الله ﷻ بعض المواقف للرسول ﷺ في تخطيط معاركه ضد الكفار، يقول الله ﷻ عنه في معركة (أحد): **(وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** [آل عمران:١٢١].

وكان الالتحاق بقواته منظَّماً تُستخدم فيه الكتابة؛ دلَّ على ذلك حديث المستفتي في الحج بقوله: (إني اكتُتبت في غزوة كذا وكذا، وإن امرأتي خرجت حاجة؟، فقال الرسول ﷺ: انطلق فحج مع امرأتك) [رواه البخاري ومسلم].

ولرسم الخطة الجيدة لأي موضوع لابد من استكمال المعلومات عنه.

وفي تخطيط المعارك لابد من أمرين:

الأمر الأول:

معرفة **العدو**، ومعرفة قواته وإمكاناته، ومراكز القوة والضعف فيه، ومعرفة خططه وتحركاته ما أمكن. وهذا يقتضي وضع نظام **الاستخبارات العسكرية**، وقد اتخذ الرسول ﷺ والقادة المسلمون بعده؛ العيون والطلائع، وكان ﷺ يجمع المعلومات التامة قبل أي غزوة يغزوها، ويتابع الرَّصد والاستطلاع، وكثير من سراياه التي كان يرسلها كانت استطلاعية؛ إما وقائية وإما للإعداد للهجوم، هذا **بالإضافة** إلى نظام التَّحالف الذي اتَّخذه الرسول ﷺ فكسب أعيناً له من غير المسلمين على خصومه.ومن **المواقف المسجَّلة** عن الرسول ﷺ، تحقيقه قبل معركة بدر مع رجلين كافرين أسرتهما طلائع جيش المسلمين، فعرف منهما عدد جيش قريش، حين أخبراه عن مقدار ما ينحرون من الإبل للأكل يومياً.ولما **تميَّز** به الرسول ﷺ من اهتمام بالاستخبارات العسكرية، فقد استطاع أن يئد كثيراً من المؤامرات والتجمعات القبلية ضد المسلمين، وهي لازالت في المهد، واستطاع أن يُنقذ المدينة الإسلامية من جيش الأحزاب الكبير، ويحفر الخندق قبل أن يداهموا المدينة.

صفحة الموجز ١-٤-١

الأمر الثاني:

معرفة **النَّفس**، وما لدينا من القوَّات والإمكانيات، ومعرفة الدَّوافع والعوائق لدينا، ويلحق بذلك معرفة المكان، والزمان، والظروف المحيطة المؤثرة الواقعة أو المحتملة. **فبناء** على الإحاطة بهذين الأمرين يمكن وضع الخطة.

ومن **أعظم** ما يُستفاد منه في هذا المجال، رسول الله ﷺ ومن بعده من القادة المسلمين، فإن لإتقان خططهم الدور الكبير في انتصاراتهم وتغلبهم على قوى أكبر منهم بكثير، **ولذا** كانت خطط المعارك الإسلامية محل عناية الكفار وباحثيهم للاستفادة منها.

ومن الأمور المشهورة في الخطط العسكرية الإسلامية:

تقسيم الجيش إلى قلب وميمنة وميسرة ومقدِّمة وساقه أو مؤخِّرة، ولذا يُسمي العرب الجيش (بالخميس).

وقد **يُفردون**؛ كتيبة للفرسان، وفريقاً للرماة، ويتخذون الطلائع والعيون، ويعينون الحراس والمسئولين عن الشؤون الإدارية، والخدمات المساندة؛ كالتموين، والعلاج، والقيام على الخيل والركاب ونحو ذلك.

ويجعلون على كل **مجموعة** صغيرة عريفاً يرأسهم، ويتعرَّف منه القائد على أحوالهم. ولهم في **نظام الصُّفوف** القتالية تشكيلات متعددة؛ كالصَّف المستوى، والهلالي، ورأس السهم.

وكانوا يأخذون **بأهم المبادئ القتالية** في خططهم؛ كالسرية، والمباغتة، والخُدعة، والمرونة، وخِفَّة الحركة، والاحتياط للطوارئ، والاقتصاد في الجهد، وإدامة رفع المعنويات، والتَّعرض، والتركيز على الهدف، وحشد القوَّة، والتَّعاون، وتأمين سلامة القوات.

وكانوا يأخذون **بالشُّورى**، وربما جعلوا لها مجلساً في سبيل قرار صائب وخطة ناجحة. وكانوا يأخذون في خططهم **بمبدأ الحرب الشاملة**، أي الضغط على العدو من كافة الجوانب؛ اقتصادياً وسياسياً ونفسياً...، ولهذا **كان** الرسول ﷺ يعترَّض تجارة قريش، **وكان** يجري الأحلاف السياسية مع المجاورين لهم، وبهذا يُضعف جانب العدو ويسهِّل الانتصار العسكري عليه.

صفحة الموجز ١-٤-١

٥) الاتحاد والتعاون:

ليكون بين الجيش من الثقة والمحبة والتناصح والتطاوع، ما يحقق أهدافهم ويقف حاجزاً منيعاً في وجه أعدائهم، يقول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**) [الصف:٤]؛ ولذا شرع الله الجماعة في صلاة الحرب،وكان الرسول ﷺ يُسوِّي صفوف القتال كما يُسوِّي صفوف الصلاة.

ومن حكمة الشعر:

تأبى الرِّمَاحُ إذا اجتمعنَ تَكَسُّراً فـــإذا افتَـــرَقن تكَسَّـــرت آحَـــادا

ولحصول **الاتحاد الحقيقي** في الجيش، لابد من الثقة المتبادلة بين القائد وبين الجند. وهو مبدأ ضروري في كل إمامة، ولذا يختار الله ﷻ الأنبياء من ذوي النسب المعروفين في قومهم بالصدق ورجاحة العقل، وقد مدح الله ﷻ لقمان عليه السلام قبل أن يعرض وصيته في القرآن، فمن المهم للاتحاد الحقيقي في الجيش، كون القائد من الأكفاء في نظر جنوده.

ومن أهم ما يحقق **روح الصَّف الواحد** والفريق الواحد في الجيش؛ مشاورة القائد لجنده، وطاعة الجند لقائدهم، يقول الله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**) [آل عمران:١٥٩]، ويقول ﷻ موجِّهاً المؤمنين عند لقاء الأعداء إلى الأخذ بأهم أسباب النَّصر، وتجنُّب أسباب الهزيمة: (**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [الأنفال:٤٦].

وتأمَّل كيف كان للخلاف ومعصية القائد الأثر الأكبر فيما أصاب المسلمين من البلاء في (أحد)، حتى قال الله تعالى: (**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**) [آل عمران:١٥٢].

وانظر أثر التعاون **ومشاركة القائد** لجنده في حفر الخندق العظيم حول المدينة في أيام قليلة في أرض صلبة، رغم موسم البرد الشديد، والمجاعة العامة، وبهذا صد الرسول ﷺ أكبر زحف قُرَشي كافر على المسلمين، فبعد تشاور بين الرسول ﷺ وبين أصحابه رضي الله عنهم، استقرَّ الأمر على حفر الخندق، فقسمه ﷺ بينهم، على كل عشرة رجال أربعون ذراعاً.

صفحة الموجز ١-٤-١

روى [البخاري] عن البراء بن عازب ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ ينقل من تُراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشَّعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التُّراب ويقول ﷺ:

اللهـمَّ لـولا أنـت مـا اهتـدينا ولا تصـــــدَّقنا ولا صـــــلَّينا
فـــأنزلنْ ســـكينةً علينـــا وثبِّـــت الأقـــدامَ إنْ لاقينَـــا
إنَّ الأُلَى قـــد بغـــوا عَلَينـــا وإنْ أرادو فِتنـــــةً أبينَـــــا

وروى [البخاري] عن أنس ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال ﷺ:

اللهـمَّ لا عـيشَ إلا عـيشَ الآخِـرَة فـــاغفرْ للأنصَـــارِ والمهَـــاجِرة

فقالوا مجيبين له:

نحـــن الـــذين بـــايعوا محمـــدا علـــى الجِهَـــاد مـــا بقِينـــا أبـــدا

ومن **أخطر الأمور على وحدة الجيش**، وجود عناصر باطنية فيه، ونحوهم من الجُبَناء، الذين يُثيرون الشَّغب والفُرقة في الجيش، يقول الله تعالى: (**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**) [التوبة:١٤٧]؛ ولذا هدم الرسول ﷺ مسجد الضِّرار الذي بناه المنافقون لتدبير المؤامرات والتَّفرقة بين صفوف المسلمين: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ**) [التوبة:١٠٧].

صفحة الواجب ١-٤-١

س١: يمكن تقسيم أسباب النصر إلى قسمين، اذكرهما.

س٢: من أسباب النصر الدينية تقوى الله ﷻ، تحدث عن ذلك مع ذكر الدليل.

س٣: أهلية القيادة من أهم الأسباب الدنيوية للنصر، تحدث عن ذلك.

س٤: نظام الأسباب، باق إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، تحدث عن ذلك.

س٥: من أهم الأسباب الحسية للنصر: (أهلية القائد) تحدث بإيجاز.

س٦: تحدث عن بعض الأساليب المؤثرة في رفع كفاءة الجند.

س٧: من أخطر الأمور على وحدة الجيش، وجود العناصر الباطنية، تحدث بإيجاز.

صفحة الموجز ١-٥-١

(١) مبادئ في علم الحرب:

أ. مقدمة:

صمم هذا الدرس ليتعرف الطالب على مبادئ علم الحرب.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على مبادئ علم الحرب.

١-٢ يتعرف الطالب على شواهد تطبيقية لمبادئ الحرب، وبخاصة في حروب النبي ﷺ.

ج. موجز الدرس:

١ - المقدمة:

أخذت العسكرية الإسلامية منذ عهدها الأول بالقواعد والأساليب العالية في خططها ومعاركها، فحققت من الانتصارات ما أبهر القدماء والمحدثين، وجعلها في فترة وجيزة تهيمن بفضائل الإسلام على أكبر جزء من العالم.

٢ - ملخص المواضيع:

أ -أهم مبادئ الحرب.

صفحة الموجز ١-٥-١

مبادئ في علم الحرب:

من **أهم مبادئ الحرب** التي سبقت إليها العسكرية الإسلامية وطبقتها بنجاح:

١) أمن وسلامة القوات:

قبل أن يفكِّر القادة والمخططون في إلحاق الخسائر بقوات العدو، فإنهم يفكرون **أولاً** بسلامة قواتهم ومكاسبهم، وتفويت الفرصة على العدو، ويتخذون لذلك الإجراءات والاحتياطات، ولذا شرع الله ﷻ **قصر** الصلاة، فقال تعالى: **(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا)** [النساء:١١٠]، ثم شرع الله ﷻ كيفية **للصلاة في الحرب**، فيها حمل السلاح والتحرك والترقب، حذرا على أمن القوات، فقال تعالى: **(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً)** [النساء:١٠٢].

ومن **الإرشادات الوقائية** في الحرب، عدم الإنفراد، يقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا)** [النساء:٧١]، **ومعنى** ثبات: أي مجموعة إثر مجموعة.

ومن **الإجراءات الأمنية** للقوات، اتخاذ الحراسات، والعيون أو الاستخبارات، والاهتمام بمنافذ الخطر، وتوفير الدفاعات؛ وقد كان الرسول ﷺ يختار المواقع **الآمنة** لجيشه، ففي معركة (أحد) جعل الجبل خلفه، فكان لذلك أثره الوقائي الكبير عندما حدث الانسحاب والتراجع للجيش الإسلامي، وفي تلك المعركة جعل الرُّماة على الجبل حماية لظهور جيش المسلمين وقال لهم ﷺ: (انضحوا الجيش عنا بالنَّبل لا يأتونا من خلفنا). ومن أهم **الأساليب** التي اتخذها الرسول ﷺ تأميناً لقواته، حفر الخندق في غزوة (الأحزاب).

ومن **الأساليب الوقاية** التي تُميِّز الأتباع من الأعداء، كلمة السِّر، فكانت في **بدر** (أَحد أَحد) وفي **أُحد**: (أَمِت، أمِت)، وفي بعض معاركه ﷺ قال لجيشه: (إن بيَّتكم العدو فقولوا: حم، لا ينصرون) [رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح]، ويقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: (غزونا مع أبي بكر زمن رسول الله ﷺ، فكان شعارنا: يا منصور أمت) [رواه أحمد بسند صحيح].

صفحة الموجز ١-٥-١

ومن **الأمن العسكري**، وقاية القوات من الدِّعايات المضادَّة، ومن الحرب النَّفسية. **وتأمَّل** في موقف الرسول ﷺ أيام غزوة (الأحزاب)، حين نَمَى إليه- في تلك الظروف الحرجة- أن بني قريظة قد نقضوا العهد ومالؤوا الأحزاب، فأرسل سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة، وخوّات ابن جبير ﷺ، وقال: انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم...، فإن كان حقَّاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتّوا في أعضاد المسلمين...، فلما عرف ﷺ الحقيقة، أسرع بحزم إلى حصارهم، حتى قال لأصحابه ﷺ: (لا يُصلِّيَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة).

ومن **تأمين القوات**، أن لا يتحرَّك الجيش ولا يبيت إلا على تعبئة، وهو المبدأ الذي يطبقه خالد بن الوليد ﷺ وأمثاله من كبار القادة.

ومن **تأمين القوات**، الاحتياط للطَّوارئ بقوات مُعدَّة عند الطلب.

ومن **التطبيقات** الذكيَّة لأمن وسلامة القوات؛ ما قام به الرسول ﷺ من الاحتياط **للقيادة** في (مؤتة)، فجعلها بين ثلاثة، إذا قُتل الأول أخذها من بعده- زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله ابن رواحة ﷺ -، ومن تأمين القوات في هذه الغزوة **الانسحاب** المنظَّم الذي دبره خالد بن الوليد ﷺ بعد أن رأى استشهاد القادة الثلاثة - زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة ﷺ - وأنه لا قِبل لجيش المسلمين بقتال جيش الروم العظيم (٣٠٠٠) مقاتل مقابل (٢٠٠,٠٠٠) فقد أمَّر نفسه ﷺ ودبَّر خِطَّة لإنقاذ جيشه؛ ففي الليل وبعد قتال شديد طيلة النهار وعلى موعد مع الروم للحرب من الغد، قام خالد بتبديل المواقع بين كتائب جيشه، ثم سحب جيشه من ساحة المعركة ونشر السَّاقة وفرسانها على مساحة شاسعة، وأمرهم أن يُحدِثوا جلبة وغُبار لئلا يشعر الروم بانسحاب معظم جيش المسلمين، وليظنوا أن مدداً جاء إلى المسلمين، فلما بلغ الجيش مأمنه ترك خالد ﷺ - وقُوَّاته المتبقية - أرض المعركة بتخلُّص واستبسال تام. وبهذا فوَّت على العدو مقاصده وأبقى ما يسوءه؛ ولذا سماه الرسول ﷺ فتحاً حين كان يذكر للمسلمين خبر جيشهم بمؤتة، فيقول: (ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة فَفُتح عليه) [رواه البخاري]، وحين قال بعضهم للرسول ﷺ: نحن الفرَّارون، قال ﷺ: (لا، بل أنتم العكَّارون، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين) [رواه أحمد وغيره].

صفحة الموجز ١-٥-١

ومن **تأمين مُكتسبات النَّصر**، نزع أسلحة العدو أو تدميرها، فحين حكم الرسول ﷺ على يهود بني النضير بالجلاء من المدينة بعد نقضهم العهد وسمح لهم من الأموال بما حملت الإبل، **استثنى** الأسلحة فلم يأذن لهم بالجلاء بها.

ومن **الإجراءات** لحماية القوات وتأمين المكتسبات، نظام حظر التَّجول؛ فقد أعلن الرسول ﷺ يوم (فتح مكة) أنَّ من دخل داره فهو آمن.

ومن **الإجراءات** التي اتخذها القائد عمرو بن العاص ﷺ لسلامة قواته، أنه في فتح (مصر) منع أن يُوقد أحد من جيشه ناراً، لئلا يكشفهم العدو – وهم قليل – وبعد احتلاله (الفرما) وقبل انتقاله منها في فتوح مصر، هدم أسوار الفرما وحصونها وحرق السفن التي بالمرفأ القريب.

ومن **الإجراءات** لتأمين المكتسبات، أن يترك القائد قوَّة في البلد التي فتحها حين يسير إلى أخرى.

٢) السِّريَّة والمباغتة:

(**السرية**) مبدأ ثابت في الحروب وكافة النشاطات العسكرية الهامة، يقول الله ﷻ معاتباً: (**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**) [النساء:٨٣].

ومن **الأمثلة** لتطبيق هذا المبدأ، **حادثة الهجرة** النبوية، وهي في التاريخ الإسلامي نقطة تحوُّل في مستقبل الدعوة وحياة الأمة وحدث عسكري خطير، فكان غاية في تطبيق مبدأ السرية. أخرج [البخاري] عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: بينما نحن يوماً جلوسا في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنِّعا – في ساعة لم يكن يأتينا فيها – فقال أبوبكر: فداء له أب وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأُذن له، فدخل، فقال لأبي بكر: (أخرج مَن عندك)، فقال أبوبكر: إنما هم أهلك يا رسول الله، قال ﷺ: (إن الله قد أذن لي بالهجرة)، ثم خرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً إلى غار في جبل ثور مرتفع عَسِر المرتقى، ومكثا فيه ثلاث ليال حتى ينقطع طلب قريش لهما، ثم خرجا ليلا من الغار يحثان السير ليلتهما ويومهما، حتى قامت الظهيرة، فنزلا يستريحان ليواصلا بعد ذلك الهجرة، آخذين بالطريق الساحلي متجنبين الأماكن الآهلة والطرق المسلوكة.

صفحة الموجز ١-٥-١

ومن **صور التطبيق** لمبدأ السِّرِّيَّة، أن الرسول ﷺ يبعث السَّرِيَّة ويكتب لهم كتاباً، لا يعلمون ما فيه حتى يبلغوا مكانا معينا أو يسيروا أياماً محدودة، فينظروا فيه ويفعلوا ما يأمرهم به، كما فعل الرسول ﷺ مع سرِية عبدالله بن جحش رضي الله عنه التي بعثها في رجب من السنة الأولى للهجرة لرصد أخبار قريش.

أما (**المباغتة**) فهي مفاجأة العدو بما لم يحتسبوا له ولا يتوقعوه؛ سواء من حيث الوقت، أو المكان، أو من حيث العدد، أو من حيث السلاح، أو من حيث الأساليب؛ لأن العدو يراعي توقعات معيَّنة، فلهزيمته لابد من مخالفة توقعاته بما لم يستعد لمواجهته.

وهذا مبدأ مرعي في كل جيش قوي، وهو سبب لمعظم انتصارات الجيوش.

ومن **الأمثلة** لتطبيق هذا المبدأ، عن ابن عمر رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق، وهم غارُّون، وأنعامهم تسقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية) [رواه البخاري ومسلم].

كذلك أن النبي ﷺ وصل (خيبر) قبل انبلاج الفجر، وصلَّى الفجر قربها، ثم هاجمها حين بزغت الشمس، وقد فوجئ الفلاحون اليهود بالجيش وهم خارجون بمواشيهم وبفؤوسهم، فقالوا: محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) [رواه البخاري ومسلم].

كذلك لما أراد الرسول ﷺ (فتح مكة) أمر أصحابه رضي الله عنهم بالتجهز للغزو ولم يُعلمهم بوجهته، وحرص على السرية ليباغت قريشاً دون أن تستعد للقتال، وقد استنفر القبائل التي حول المدينة للجهاد حتى بلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، وخرج الرسول ﷺ من المدينة لعشر خلون من رمضان، ودخل مكة دون أن تعلم قريش لتسع عشر خلت من رمضان.

ومن **المفاجآت** التي لم يتوقعها الأعداء المتحزبين على المدينة، الخندق الذي ضربه الرسول ﷺ عليها، ولم يكن في حسبان قريش والأحزاب ذلك الأسلوب الدفاعي.

٣) الخُدعة والتمويه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الحرب خُدعة) [رواه الخمسة].

وهذه حقيقة يعلمها كل قائد وكل مقاتل، أن الخدعة الناجحة قد تمنع هزيمة، وقد تحقق انتصاراً لولاها لم يتحقق.

صفحة الموجز ١-٥-١

ومن **الأمثلة** لتطبيق هذا المبدأ، عن كعب بن مالك ﷺ قال: (كان النبي ﷺ قلَّما يُريد غزة يغزوها، إلا ورَّى بغيرها) [رواه البخاري].

وفي **قصة الهجرة** النبوية العظيمة، أنه ﷺ خرج من بيته ليلا تاركا عليًّا ﷺ مُتغطِّيا بردائه علَى فراشه، فكان المشركون المتآمرون علَى قتله ينظرون من صير الباب فيظنون عليًّا ﷺ الرسول ﷺ، فينتظرون خروجه، فلما أصبح الصباح وعرفوا أنه علي ﷺ سألوه: أين صاحبك؟، فقال: لا علم لي به، وذهبوا إلى بيت أبي بكر ﷺ فسألوا ابنتيه عنهما، فقالا: لا ندري. أما الرسول ﷺ فانطلق وأبو بكر ﷺ إلى غار في جبل ثور جنوب مكة عكس اتجاه المدينة، حتى إذا مرَّت ثلاث ليال وانقطع الطَّلب، خرجا من الغار، فربَّما لقي أبوبكر ﷺ في الطريق من يعرفه فإذا سأله عن الرسول ﷺ قال: (هذا الرجل يهديني السبيل) [رواه البخاري]. فيحسب أنه يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

وفي الطريق لحق بهما سُراقة بن مالك بن جعشم فحماهما الله ﷻ منه، وكاد أن يُصرع من فرسه، ثم ناداهما بالأمان فقال الرسول ﷺ: (أخفِ عنَّا)، فرجع سراقة لا يلقى أحدا إلا قال: (قد كفيتكم ما ههنا) [رواه البخاري ومسلم].

ومما يُذكر في باب **الحِيل والخُدع العسكرية**، قِصة مقتل اليهودي كعب بن الأشرف، الذي كان يهجو المسلمين ويحرِّض قريشا عليهم، فندب إليه الرسول ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ ليقتله، فقال للرسول ﷺ: ائذن لي فلأقُل، قال: قُل، فأتاه محمد بن مسلمة ﷺ فقال: إن هذا الرجل -يعني الرسول ﷺ - قد سألنا صَدَقة وقد عَنَانا، قال كعب: وأيضاً والله لتُمَلُّنَّه، قال محمد ﷺ: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى شيء يصير أمره، وقد أردت أن تُسلِّفني وسقا أو وسقين، فقال كعب: نعم، فما تُرهنوني؟، قالوا: أي شيء تريد؟، قال: ترهنوني نساءكم، قالوا: كيف نُرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب!، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسب أحدهم فيُقال

رُهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك السلاح، قال: فنعم. وواعده أن يأتيه بالحارث ابن أوس، وأبي عبس بن جبر،وعباد بن بشر، فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة - أخو لكعب من الرضاع-، فدعوا كعبا فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة، إني أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، فقال كعب: إنما هو محمد ابن مسلمة وأخي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب، فقال محمد ﷺ لأصحابه ﷺ: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من

صفحة الموجز ١-٥-١

رأسه فدونكم فاضربوه. فنزل كعب إليهم متوشحاً وهو ينفح من رِيح الطِّيب، فقال محمد ﷺ: ما رأيت كاليوم ريحاً، فقال كعب: عندي فلانة أعطر نساء العرب، قال: أتأذن لي أن أشُمَّ رأسك؟، قال: نعم فشُمَّه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟، قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

والخدعة التي فصمت عُرا التحالف بين الأحزاب وبين يهود بني قريظة المتحالفين على القضاء على المسلمين بالمدينة، خدعة دبَّرها نُعيم بن مسعود الغطفاني ﷺ، حيث جاء حينذاك مسلما، فأوصاه الرسول ﷺ بكتم إسلامه وقال له: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنَّا إن استطعت، فإن الحرب خدعة)، فأتى نعيم ﷺ بني قريظة فقال: إن قريشا ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم لا تقدرون على التَّحول منه إلى غيره، وإن قريشاً ليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل...، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي. ثم أتى نعيم ﷺ قريشا، فقال: إنه قد بلغني أمر رأيت علي حقا أن أبلغكموه نُصحا لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك رجالاً من أشرافهم فتضرب أعناقهم؟، فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا. فحين دعت قريش بني قريظة لمناجزة المسلمين طلبوا الرهن، فرفضت قريش، فصدَّقوا ظنون نعيم ﷺ، وفسد تحالفهم.

٤) الإرهاب النفسي:

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة المسلمة، الهيبة التي جعلها الله ﷻ لها في قلوب أعدائها حتى من يبعد عنها مسيرة شهر، يقول الرسول ﷺ: (نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر) [رواه البخاري].

ولا شك أنَّ **للخوف** أثر في حصول الهزيمة، كما أنَّ لارتفاع الروح المعنوية أثر في تحقيق النصر.

ولهذا كان للحرب **النفسية** أهميتها في العسكرية الإسلامية سواء قبل الحرب، أو أثناءها، أو بعدها.

فمن **الإرهاب قبل الحرب**، إعداد القوة وإظهارها، يقول الله تعالى: **(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ)** [الأنفال:٦٠].

صفحة الموجز ١-٥-١

وذكر ابن عباس ﷺ من خبر عُمرة القَضَاء قال: (قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد أوهنتهم حُمَّى يثرب. فأمرهم النبي ﷺ أنْ يرمُلوا الأشواط الثلاثة) [متفق عليه]، وفي رواية: (رحم الله رجلا أراهم من نفسه جلدا).

ومن **الإرهاب أثناء الحرب**، المبالغة والإثخان في القتل، يقول الله تعالى: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ)** [الأنفال:٦٧]، **وكذلك** المطاردة للعدو، كما فعل الرسول ﷺ في غزو (السويق) بعد معركة (بدر) حيث أغار أبوسفيان في ركب معه على بعض المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم يطاردهم ففاتوه، وقد طرحوا سويقا كثيرا يتخففون به، فسميت بذلك. **وكذلك** فعل مع جيش قريش عقب (أحد)، فإنهم حين انصرفوا، فكانوا بالروحاء، فوجئوا بجيش المسلمين فهربوا، فطاردهم الرسول ﷺ حتى بلغ (حمراء الأسد)، فأقام ثلاثة أيام ثم رجع. **وكذلك** فعل مع هوازن وغطفان عقب غزوة (حنين)، حتى قال ﷺ: (من قتل مشركا فله سَلَبه) فطاردهم الصحابة ﷺ حتى (أوكاساً) وسلبوهم.

ومن **الإرهاب للعدو**، تدمير إمداداته ومصادر قوته، **يدل** عليه ما قام به الرسول ﷺ من تقطيع بعض نخيل بني النضير حين حاصرهم، قال تعالى: **(مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)** [الحشر:٥].

ومن **إرهابهم**: محاربتهم في عقر دارهم، والتعرض لهم ومبادءتهم بالهجوم.

وفي معظم معارك الرسول ﷺ كان هو الذي يغزو، وكان يباغت القوم في أماكنهم منذ أن يعلم منهم بنيَّة السُّوء ، وكان المسلمون في كافة معاركهم هم المهاجمون. وحين أراد الرسول ﷺ (فتح مكة) حشد له حشداً عظيماً، وفاجأ أهل مكة بدخوله عليهم، وأشعل النيران على الجبال ليُرهبهم.

ومن **الحرب النفسية**: صيحات التكبير التي يُطلقها المسلمون، لتهز قلوب الأعداء وتثبِّت المؤمنين، بأنه لا أكبر من الله ﷻ.

ومن ذلك إسقاط راية العدو، وقتل قائدهم أو أسره، فإن لذلك أثراً نفسياً عميقاً على الأعداء.

ومثل ذلك تحقيق الغلبة في المبارزات، وبخاصة التي تقع أول المعركة، مما يُحدث هزيمة نفسية لجيش العدو.

صفحة الموجز ١-٥-١

ومن **الحرب النفسية بعد المعركة:** البقاء مُدَّة على أرض المعركة بعد انتهائها، تعبيراً عن الاستعداد للمواجهة والمواصلة، وهو ما يفعله الرسول ﷺ في كافة غزواته.

روى [البخاري] عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا ظهر على قوم، أقام بالعرصة ثلاث ليال). وقد تقتصر الغزوة على الحرب النفسية، فيعسكر الرسول ﷺ بالمكان، عرضاً للقوة، ثم يرجع دون أن يلقى كيدا، كما في غزوة (ذي أمر) في السنة الثالثة للهجرة ضد غطفان المحتشدين للغارة على المدينة، فباغتهم الرسول ﷺ ففروا، فعسكر شهراً بالمكان ثم رجع بلا قتال. وفي غزوة (بحران) ضد بني سليم، فتفرَّق حشدهم فأقام شهرين على المكان ثم رجع بلا قتال. وكان الرسول ﷺ على مواعدة ببدر مع قريش عقب غزوة أحد وذلك بعد عام، فعسكر في المكان وفق الموعد، ورجع دون أن يلق كيدا.

٥) الحرب الشاملة وتفتيت القوة:

أي الضغط على العدو من كافة الجوانب لتوهين قوته، فإنه يستمد قوته من مصادر متعددة، فيمكن هزيمته بالتأثير على المصادر الرئيسة لقوته.

ومن ذلك **الاقتصاد،** وقد كان محل تركيز الرسول ﷺ في حروبه ضد قريش، فكان يعترض قوافلهم التجارية ويقتطعها، مما اضطرهم إلى مصالحته في صلح الحديبية المعروف.

وأيضاً **الإعلام،** وقد استخدمه النبي ﷺ في زمنه متمثلاً في شعر الهجاء الذي يطلقه شاعر النبي ﷺ – حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه– حتى قال عنه ﷺ: (لشعر حسان أشد عليهم من وقع النبال)، وقد كان النبي ﷺ يشجعه ويقول: (اهجهم وروح القدس معك).

ومن الجوانب الهامة للتأثير على العدو الجانب **السياسي،** وقد كان للرسول ﷺ ضرباته السياسية العظيمة في إجراء التحالفات والمعاهدات، مما يُقوِّي جانبه ويُضعف جانب عدوه.

ومن **أولها؛** المعاهدة التي أجراها مع يهود المدينة منذ دخلها مهاجرا، معاهدة على المناصرة بالمال والنفس.

وفي صفر من السنة **الثانية** للهجرة خرج الرسول ﷺ يريد قريشا وبني ضمرة، فوصل الأبواء، ووادع بني ضمرة من كنانة، ورجع لم يلق كيدا.

ولعل أهم وأكبر حركة سياسية قام بها الرسول ﷺ من هذا النوع، **صلح الحديبية،** حيث خرج الرسول ﷺ في ذي القعدة من السنة **السادسة** للهجرة يريد العمرة، وحشد لذلك حشداً كبيراً،

صفحة الموجز ١-٥-١

وكانوا على احتياط من قريش لو أرادوا قتالاً- قد أخذوا معهم السلاح-، وهذا **نجاح** سياسي إن دخلها عليهم في هذا المظهر القوي وتعالمت بذلك العرب، وهو كذلك **نجاح** سياسي إن منعوه وتعالمت بذلك العرب وأن قريشاً هم الذين يَصدون عن البيت الحرام لا كما زعمت قريش أن المسلمين يَصدون الناس عن البيت الحرام.

وقد تم بين الرسول ﷺ وبينهم صلحا آمنا عشر سنين، يشملهم ويشمل حلفاءهم، وأن يرجعوا دون اعتمار إلى العام القادم. وبهذا كسب المسلمون تفرُّغا من حرب قريش وإقبالاً من الناس على الإسلام حتى دخلوا فيه أكثر ممن قبلهم، ولذا سماه الله ﷻ فتحاً: **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)** [الفتح:١]، **علماً** أنَّ بنود الصلح حققت انتصارات أخرى، حيث أن من أسلم من قريش بعد الصلح لا تلزمه بنود الصلح ولا يدخل في حلف الرسول ﷺ مما سبب لقريش أذى كثيراً منهم، عكس ما كانوا يظنون وما كان يتخوفه أكثر المسلمين من هذا البند.

وبموجب هذا الصلح دخلت خُزاعة في حِلف الرسول ﷺ، فكانت عَينا له بمكة على قريش. لا شك أن صلح الحديبية هزيمة سياسية كبيرة لقريش، ولذا نقضته بعد أقل من عامين، فكان فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة.وأخذا بمبدأ **تفتيت قوة العدو**، كان الرسول ﷺ يحرص على أن لا يواجه الأعداء جميعاً في وقت واحد، فإذا اجتمعوا لقتاله حرص على التَّفريق بينهم، حتى إذا أمكنته الفرصة بدأ بأخطرهم ثم بمن بعده، وبهذا خلَّص ﷺ الدَّعوة وحال دون تألب الأعداء عليه جميعاً.

ولقد حاول الرسول ﷺ يوم (الأحزاب) أن يُعطي قادة غطفان جزءاً من ثمار المدينة ليرجعوا ويتخلوا عن قريش. وأذن لنُعيم بن مسعود ﷺ أن يعمل للتفريق بين الأحزاب وبين بني قريظة.

وحين غزا (خيبر) نزل بوادي الرجيع، ليفصل بين اليهود وبين غطفان، فلا يعينوا أهل خيبر. وحين لجأ قائد (حنين) مالك بن عوف إلى أهل الطائف وظاهرهم، أرسل إليه الرسول ﷺ يُغريه على الإسلام بأنه سيرد عليه ما أخذه منه في حنين، فأنسل مالك من ثقيف إلى الرسول ﷺ فأسلم، فرد عليه الرسول ﷺ أهله وماله.

صفحة الواجب ١-٥-١

س١: اذكر أهم مبادئ علم الحرب التي تميزت بها العسكرية الإسلامية وطبقتها بنجاح.

س٢: اشرح مبادئ سلامة القوات مع ذكر تطبيقات النبي ﷺ.

س٣: اذكر مثالاً لنزع النبي ﷺ سلاح العدو، ومثالاً لحظر التجوُّل.

س٤: ما هو الأسلوب السري الذي استخدمه النبي ﷺ في بعث سرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه؟.

س٥: اذكر مثالين على السَّرية في هجرة النبي ﷺ، ومثالين على استخدام الخدعة في الهجرة.

س٦: من مبادئ الحرب: (المباغتة)، و(الحرب الشاملة)، ما معناها؟.

س٧: من مبادئ الحرب: الحرب الشاملة وتفتيت القوة تكلم عن ذلك بإيجاز.

س٨: في هجرة النبي ﷺ صورة من صور مبادئ الحرب، اذكرها موضحا ما تقول.

صفحة الموجز ١-٦-١

(١) معالجة الهزيمة:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على كيفية معالجة الهزيمة لو وقعت، وإعادة الروح المعنوية المرتفعة إلى نفوس المقاتلين.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على كيفية معالجة الهزيمة نفسياً.

١-٢ يتعرف الطالب على الأدلة المتعلقة بالموضوع.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

إنَّ أي قوة بشرية تُصاب بهزيمة كُليَّة أو جُزئيَّة، إنها تفكر في المخرج منها ومعالجتها وبخاصة من الجانب النفسي، مستفيدة من الأسباب التي أوقعتها في الهزيمة، والأسباب التي حققت الانتصار للعدو.

٢ -ملخص المواضيع:

أ -معالجة الهزيمة.

صفحة الموجز ١-٦-١

معالجة الهزيمة:

من المعلوم أن الهزيمة لا تقتصر على الجانب المادي والمالي، بل تشمل الجوانب النفسية والفكرية، وهي أخطر.

ولا تجد مثل الإسلام في معالجة الهزيمة، حتى إنه ربما جعلها مصدر قوة لنظامه العسكري وبُشرى بالنصر، وهذه **بعض المعالجات** التي يواجه بها الإسلام ظروف الهزيمة، مما يقي الجيش الإسلامي من الوَهَن والذل واليأس ، ويجعله يستعيد عافيته، ويجاوز العقبات إلى تحقيق النصر بإذن الله ﷻ:

١) الهزيمة قضاء وقدر من الله ﷻ: والإيمان بالقضاء والقدر، هو ركن الدِّين العظيم، الذي يمنح المؤمن طمأنينة وصبراً، وشجاعة وعزماً، يقول الله عز وجل: **(أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)** [الحديد:٢٢-٢٣]، وقال تعالى: **(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا)** [التوبة:٥١].

وتأمل عتب الله ﷻ على الذين لم يفقهوا هذا المبدأ العظيم: **(يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)** [آل عمران:١٥٤].

فبالهزيمة يستخرج الله من عبده المؤمن مواقف الإيمان العظيمة كالصبر ، والرضاء ، والتضرع ، والاستغفار والتوكل قال تعالى (**وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا**) وهذا هو ما حصل للمسلمين الأوائل (**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله**) (**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**)

ومن **سوء الحظ** أن يجمع الشخص هزيمة وحسرة، يقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ)** [آل عمران:١٥٦].

ومن **مظاهر القوَّة** في حياة المسلم إيمانه بالقضاء والقدر، وقد قال الرسول ﷺ: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٦-١

ومن أشرف **مقامات العبودية** لله ﷻ، الرضا عن الله ﷻ، والصبر على أقداره المؤلمة، وبخاصة في الجهاد في سبيل الله ﷻ، يقول الله تعالى: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**) [البقرة:١٥٥-١٥٧]، ويقول الرسول ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذ أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط) [صحيح رواه الترمذي].

وأقل **فوائد الصَّبر** – هنا – عدم التفريح للأعداء وعدم تشميتهم على المسلمين، كما قال الله عز وجل: (**إِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**) [آل عمران:١٢٠].

٢) الهزيمة ابتلاء حكيم يُمَيِّز الله ﷻ بها المؤمن الصادق المحب حقاً لله ﷻ المتمسك بدينه، من المنافق الكاذب المنقلب إذا رأى انتصار الكفار على المسلمين، يقول الله عز وجل: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**) [محمد:٣١]،ويقول تعالى: (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**) [العنكبوت:٢-٣]، ولولا الهزيمة لم يمكن لنا أن نعرف أولئك المنافقين مرضى القلوب، يقول الله تعالى: (**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وما كان الله ليطلعكم على الغيب**) [آل عمران:١٧٩]، ويقول تعالى: (**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ۞ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**) [آل عمران:١٤٠-١٤١].

ففي **الشَّدائد** نعمة عظيمة، حيث تمحِّص الصف الإسلامي، وتكشف أصحاب المطامع والمصالح الدنيوية أصحاب العقول المعيشية: (**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**) [النساء:١٤١]، فالسلامة من هؤلاء نصر: (**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**) [التوبة:٤٧].

صفحة الموجز ١-٦-١

وفي **الشدائد** علو إيمان، وزيادة محبة، ورضى عن الله ﷻ، كلما تذكّر المؤمن قول نبيه ﷺ: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم) [صحيح رواه الترمذي]، وقوله ﷺ: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).

وفي **الشدائد** والمصائب تدريب للمؤمنين وإعداد للمستقبل المنتصر، فإن أصحاب الابتلاء الصابرين هم الأحفظ للنصر القادم المؤهلون للقيادة.

إن **الهزيمة** نوع من المصائب الدنيوية، يتبيَّن بها صِدق إيمان العبد، وأنه لم يعتنق هذا الدين لمطامع دنيوية، وأن ما أوتي الكفار من متاع الدنيا ونصرها ونعيمها لا يساوي شيئاً أمام ما هداه الله ﷻ إليه من الإسلام الذي به الفلاح الأخروي الأبدي، يقول الله ﷻ عقب ما أصاب المسلمين في غزوة أحد: **(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إن كنتم مؤمنين)** [آل عمران:١٣٩].

إن **تسلُّط** العدو على المسلمين هو نوع من المصائب والابتلاءات، لإظهار إيمانهم وصدقهم، وهكذا هو في نظر أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يشكُّوا أبداً في دِينهم، بل ازدادوا إيماناً وتوكلاً والتجاءاً إلى الله ﷻ، يقول عز وجل: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** [الأحزاب:٢٢].

وبالهزيمة يستخرج الله ﷻ من عبده المؤمن مواقف الإيمان العظيمة؛ كالصبر والتضرع والاستغفار والتوكل، كما قال تعالى: **(نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ)** [آل عمران:١٤٠]، وهذا ما حصل للمسلمين الأوائل: **(فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ)** [آل عمران:١٤٦]، **(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** [آل عمران:١٤٧].

٣) الهزيمة مصيبة مأجورة من الله ﷻ، ففي المصائب تمحيص للمؤمنين من الذُّنوب، ورفعة لدرجاتهم عند ربهم ﷻ، أعظم من كل فائت من هذه الدنيا، يقول الله عز وجل: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** [التوبة:١٢٠].

صفحة الموجز ١-٦-١

فما هذه الهزيمة وهذه الجراح الا إعداد لنيل المنازل الرفيعة في الآخرة – فإن الجنة سلعة غالية –كما قال تعالى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ**) [البقرة :٢١٤]

وقدَّم الله ﷻ المغلوب على الغالب، فقال تعالى: (**وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**) [النساء:٧٤].

وأثنى الله ﷻ على المؤمنين السابقين حسن تحملهم المصائب في الجهاد، واتهامهم لأنفسهم عندها، وحسن ظنهم بالله ﷻ وازدياد تعلقهم به، فقال تعالى: (**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) [آل عمران:١٤٦-١٤٨].

وأي **شرف** أعظم من **الشهادة** في سبيل الله ﷻ، حتى إن الله ﷻ واسى المسلمين في قتلاهم وما أصابهم (بأحد)، بأنه اتخذ منهم شهداء، فقال عز وجل: (**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء**) [آل عمران:١٤٠]، ويقول الله تعالى: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ**) [آل عمران:١٦٩-١٧٠]، ويقول الرسول ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة، يُحب أن يرجع إل الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيُقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة) [متفق عليه].

ويقول الله تعالى: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ**) [آل عمران:١٦٩-١٧٠]، ويقول الرسول ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة، يُحب أن يرجع إل الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيُقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-٦-١

وتأمل في هذا الحديث العظيم، يقول الرسول ﷺ: (ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم، إلا كانوا قد تعجَّلوا ثُلثي أجورهم،وما من غازية أو سَرِيَّة تخفق وتصاب، إلا تمَّ أجورهم) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يصب منه) [رواه البخاري ومسلم]، وقال ﷺ: (ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى؛ اللون لون دم، والرِّيح ريح مسك) [متفق عليه].

وأي **نسبة** بين نعيم الآخرة وشرفها وجنتها التي عرضها السموات والأرض، وبين نصر الدنيا ومتاعها الفائت؟!، **(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ)** [الأنفال:٦٧]، أي تريدون الغنيمة والنصر والله ﷻ يريد لكم ما هو أحسن وهي الشهادة والجنة. ولهذا **حقَّر** الله ﷻ النَّصر وسماه (الأخرى) وجعله محبوباً للناس فقط، حين ذكر قبله ثواب الآخرة للمجاهدين، فقال عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** [الصف:١٠-١٣].

ولا شك أن **نصر الكفار** في الدنيا، دليل على حقارة الدنيا عند الله ﷻ، وإلا لما نصرهم، مما يُزهِّد المؤمن فيها راغباً في نعيم الآخرة الأبدي. **وهنيئاً** لمن أُوذي في سبيل الله، بقوله تعالى: **(فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)** [آل عمران:١٩٥].

٤) **الهزيمة تبشير بقرب النصر**، فإنَّ الهزيمة في جانب المسلمين، إنما هي إمهال من الله ﷻ لعدوهم الكافر، ليزداد إثماً وظلماً، فيحق عليه من الله ﷻ أشد العذاب، قال الله عز وجل: **(وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئًا وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)** [آل عمران:١٧٦- ١٧٨].

صفحة الموجز ١-٦-١

إن **انتصار الكفار** يعني الإيذان من الله ﷻ بمحقهم وتدميرهم، كما قال عز وجل عقب أحداث غزوة (أحد) وما أصاب المسلمين فيها من أضرار على أيدي الكفار: **(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء واللّهُ لا يحُِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)** [آل عمران:١٤٠-١٤١]، أي يعجل بمحقهم في الدنيا .

وسُنَّة الله ﷻ الثابتة: أن العُسر كلما اشتدَّ اقترب اليُسر: **(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)** [الشرح:٥- ٦]، انظر لما بلغ عدوان كفار مكة وحربهم للمسلمين أنهم حاصروا المدينة في عشرة آلاف مقاتل حتى رعب أهلها أشد الرعب وزلزلوا زلزالاً شديداً.

هنا أيقن النبي ﷺ بقرب الفرج فقال ﷺ كلمته العجيبة: (الآن نغزوهم ولا يغزونا)، فما غزت قريش بعد غزوة الأحزاب المسلمين أبداً، وفي أثناء هذه المعركة العصيبة يبشر النبي ﷺ بفتوح كثيرة عظيمة حين كان يضرب الصخرة بالمعول ويقول: (الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام)، ثم يضرب مرة ثانية فيقول: (الله أكبر أُعطيت فارس)، ثم يضرب الثالثة ويقول: (الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن).

وهذا مصداق خبر الله ﷻ في القرآن بقرب النصر حين يبلغ البأس ذروته، قال تعالى: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)** [البقرة :٢١٤].

هذا مع ما يصحب العُسر- غالباً- من الالتجاء والتَّضرع إلى الله ﷻ، وهو القائل عز وجل: **(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ)** [النمل:٦٢]، وكيف يضعف المسلم وهو يتذكر أن الله ﷻ الأعلى معه: **(بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ)** [آل عمران:١٥٠]، **(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** [آل عمران:١٣٩]، ويقول الله ﷻ لنبيه موسى عليه السلام أمام فرعون وسِحره العظيم: **(قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى)** [طه:٦٨]، ولما لحق به فرعون السفاح وجيشه الظالم: **(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [الشعراء:٦١-٦٢].

صفحة الموجز ١-٦-١

إن **الهزيمة للمسلم مبعث أمل** بنصر كبير إذا عولجت بتلك العلاجات الشرعية؛ إيمان بالقضاء والقدر، واحتساب للأجر الأهم، وتصديق بوعد الحق عز وجل: **(إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** [الأعراف:١٢٨]، وقال تعالى: **(فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)** [هود:٤٩]، وقال عز وجل: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** [الروم:٤٧].

ثم **بتجنب** الأسباب التي أوقعت في الهزيمة، **والأخذ** بأسباب النَّصر، وبخاصة العودة إلى الله ﷻ، واجتناب معاصيه، تصديقاً بقول الحق تعالى: **(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)** [الشورى، آية: ٣٠]، وقوله تعالى: **(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** [محمد:٧].

صفحة الواجب ١-٦-١

س١: من المعالجات التي يواجه بها الإسلام ظروف الهزيمة؛ الإيمان بالقضاء والقدر، تكلم عن ذلك مع ذكر الدليل.

س٢: الهزيمة ابتلاء حكيم من الله ﷻ للمسلمين، اذكر ثلاث فوائد للهزيمة لو وقعت.

س٣: ما هي السورة التي تخصصت في معالجة هزيمة معركة أحد من نفوس المؤمنين؟.

س٤: كيف تكون الهزيمة مبشرة بقرب النصر للمسلمين بإذن الله ﷻ، واذكر شاهداً على ذلك من غزوة الأحزاب.

س٥: من طرق معالجة الهزيمة: بشرى بالنصر وتقريب له، تكلم باختصار.

صفحة الموجز ١-٧-١

(١) القيادة العسكرية:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على القيادة العسكرية من حيث الأهمية والأهلية والمهمات، وليتعرف على الواجبات العامة لكل فرد من أفراد الجيش .

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على القيادة العسكرية من حيث الأهمية.

١-٢ يتعرف الطالب على القيادة العسكرية من حيث الأهلية.

١-٣ يتعرف الطالب على القيادة العسكرية من حيث المهمات.

١-٤ يتعرف الطالب على الواجبات العامة على الجيش، والأدلة المتعلقة بذلك.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

لا يشك أحد في ضرورة القيادة، بل هي مهمة في كل عمل جماعي مشترك. وكما أن للقائد مسؤولياته القيادية، فإن كل من ينتسب إلى العمل العسكري أياً كان موقعه علية واجبات نحو ربه ﷻ، وقيادته، وزملائه، وعمله.

٢ -ملخص المواضيع:

أ -أهمية القيادة العسكرية.

ب -الصفات المؤهلة للقيادة.

ج- مهام القائد.

د- واجبات على عامة الجيش.

صفحة الموجز ١-٧-١

القيادة العسكرية:

أولا: أهمية القيادة العسكرية:

لا يشك أحد في ضرورة القيادة، بل هي مهمة في كل عمل جماعي مشترك، ولهذا أوصى الرسول ﷺ بها في الاجتماعات الصغيرة والمؤقتة؛ كالسفر، فقال ﷺ: (إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمّروا أحدهم) [رواه ابوداود بسند حسن]، فكيف بالحرب وتدبير شؤونها وقيادة القلوب إلى موارد الخطر لتحقيق النصر!؛ ولذا كان أول أمر فكَّر فيه بنو إسرائيل للخروج من ظلم العدو واستذلاله لهم تعيين **القيادة المؤهلة**، يقول الله عز وجل: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا**) [البقرة:٢٤٦].

وكانت **الخطط القتالية** لجيوش المسلمين تركز على تدمير قيادة العدو، مما حقق لهم نجاحات كبيرة واقتصاداً في الجهد.

وإن **القيادة** الفذَّة لتعوض النقص الكبير في الجيش، وتُحسِّن توظيف وإدارة الطاقات لتحقق أعظم النتائج بإذن الله ﷻ.

وإن **القيادة** هي ملتقى الآراء، وفصل القرار، فهي مجمع قلوب الجيش، ومحط الأنظار للأتباع وللأعداء، فلابد أن تكون من الأهلية والكفاءة بما يحقق الأهداف ويبطل كيد الأعداء.

لا يَصلح الناس فوضَى لا سُراة لهم ولا سُراة إذا جُهَّالهم سادوا

ثانيا: الصفات المؤهلة للقيادة:

إن القيادة أعلى المسؤوليات، وإن المسؤولية **أمانة**، فيجب أن تُسلَّم إلى المؤهَّل لحملها، كما قال ربنا عز وجل: (**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**) [النساء:٥٨]

فإن سُلِّمت لغير الكفء عن علم كانت **خيانة**، والله ﷻ يقول: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [الأنفال:٢٧].

صفحة الموجز ١-٧-١

وتأمَّل في هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، يقول أبو ذر رضي الله عنه: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ - يعني في عمل قيادي أو وظيفة عامة - فضرب ﷺ بيده على منكبي، ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها) [رواه مسلم].

فبيَّن الرسول ﷺ أن القيادة والوظيفة العامة أمانة عظيمة، ومسؤولية ثقيلة، لا يصح أن يتولاها إلا الكُفء، ومن **شروط الكفاءة**؛ القوَّة، ليؤدي مهامها؛ قوَّة في القلب، وفي العقل، وفي العلم، وفي البدن. **وليس المراد** من الضَّعف - في الحديث - ضعف البدن أو قِلَّة الشجاعة، فإن **أباذر** رضي الله عنه من أقوى الصحابة رضي الله عنهم بدناً وأشجعهم قلباً وأعظمهم صبراً وأصدقهم لهجة، فهو من أول الأوائل دخولاً في الإسلام، وأول من أعلن إسلامه بمكة، فصارع المشركين وصارعوه، وكان رأسا في العلم والعمل والزهد والصدق وقول الحق -على حِدَّة فيه - ولكن من الضَّعف معاملة الناس على جِهة الكمال والزهد في الدنيا، وحملهم على مثل ما يستطيع أن يحمل نفسه عليه، ومن هنا قال الرسول ﷺ له: (يا أباذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تلين مال يتيم) [رواه مسلم].

وأحسن **قول جامع للصفات** المشروطة في المؤهَّل للقيادة والولاية، قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: **(إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)** [القصص:٢٦]، **فالقوَّة والأمانة** هما الركنان الأساسيان في الأهلية للقيادة والمسؤولية، ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى بها حامل الوحي جبريل عليه السلام فقال عنه: **(ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)** [التكوير:٢٠-٢١]، واخبر سبحانه وتعالى عن قول حامل كرسي ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام: **(وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)** [النمل:٣٩].

والقُوَّة: قُدرة على القيام بالمسؤولية، بحسب ما تتطلبه؛ من بدن لائق، وعلم شامل، وقلب ثابت، وعقل مدبِّر.

والأمانة: صِدق، ونُصح، وانضباط ذاتي في تحمل وأداء المسؤولية.

ويمكن تفصيل الصفات اللازمة للقيادة العسكرية الإسلامية فيما يلي:

صفحة الموجز ١-٧-١

١) الإيمان الصادق:

فإن **هدف** العسكرية الإسلامية إعلاء كلمة الله ﷻ، فكيف يقود الناس لتحقيق هذا الهدف من لا يتمثَّله ولا يتحمَّس له!، وأبعد من ذلك وأضيع أن يتولى القيادة العسكرية من يكره الدِّين وأهله!.

إن **القائد** قدوة الجيش، وحتى نحمل الجيش على الاستقامة والأمانة، لابد أن يتولَّى عليهم من هو كذلك، وإلا كان الحال كمن ينقض كلامه بفعاله.

إن **سلطة القائد** سلطة عالية، ومسؤوليته مسؤولية خطيرة، وإذا لم تكن له رقابة – غير الناس – فحري أن يفعل ما يشاء، وربما خان وأهلك من تحته ليحقق مطمعاً دنيوياً عاجلاً، أو على الأقل لن يُراعي جانب العدل والنزاهة في معاملة مرؤوسيه، بل ظَلمهم وتكبَّر عليهم ولم يُحسن رعايتهم.

وإن الرَّقابة – من غير الناس – لا يمكن أن توجد إلا في الإيمان بالله ﷻ، فالمؤمن الصادق هو المنضبط ذاتياً، لأنه يراقب الله ﷻ في عمله وقيادته.

إن **النَّصر** من الله ﷻ، ينصر عباده المؤمنين الصادقين، ولا حظَّ في ذلك لقائد لا يفقه تلك الحقيقة، ولا تتوفر به أسباب النَّصر الربانية؛ من تقوى الله ﷻ، والإخلاص له، والتَّوكل عليه. بل ربما كان العكس، فهزم الله ﷻ الجيش بسبب فساد قائدهم ومعصيته لله ﷻ.

٢) الشجاعة:

وذلك مطلب ضروري لأداء مهام العسكرية وتحقيق أهدافها الكبيرة، وقد دعا الله ﷻ ورسوله ﷺ إلى أن يكون الجيش المسلم **مُتَّصفاً** بالشجاعة والعزة والحزم والقوة والصبر، فقال تعالى: **(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ)** [الشُّورى:٣٩]، وقال تعالى: **(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)** [الشعراء:٢٢٧]، وقال تعالى: **(فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ)** [محمد:٣٥]، ولا شك أن ذلك الوصف في حق قائد الجيش أهم وأوجب.

إن **قلب القائد** الكُفء مُنشرح ثابت، فكله حماس وغَيرة على تأدية الواجب، واثق من مبادئه، واثق من نفسه، متفائل في نظرته، ضابط لانفعالاته، صابر قوي في تحمله، حازم في إدارته، جَريء مُبادر، مُقتحم للمخاطر، مُتحمل للمسؤولية بلا تردد، ذو شهامة ونجدة وهِمَّة وتصميم. وذلك نابع من قُوَّة الشَّخصيَّة، ومن محبة العمل العسكري، والتَّشرف بالخدمة العسكرية.

صفحة الموجز ١-٧-١

هذا وإن **شجاعة القائد** وعلو همته لا تقتصر على مواجهة عَدوه، بل وحتى في مواجهة جيش الغضب والانفعال في نفسه ضد أحد من مرؤوسيه، يقول الرسول ﷺ: (ليس الشَّديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [متفق عليه].

ومن **أمثلة الشجاعة والحزم**: موقف النبي ﷺ من الخروج لأُحد؛ فكان رأيه ﷺ عدم الخروج بل القتال من داخل المدنية، لكن الأكثرين رغبوا الخروج، وقال الأنصار ﷺ: يا رسول الله ما دُخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يُدخل علينا فيها في الإسلام. فأجابهم وبادر بالاستعداد للخروج، فعاد الصحابة ﷺ خَشية أن يكونوا استكرهوه ﷺ يقولون: إن أحببت أن تمكث في المدينة فأفعل، فقال ﷺ: (إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته، أن يضعها حتى يُناجز).

ولقد عُرف **الجيش الإسلامي** وقادته بالشجاعة، ولذا كانت حروبهم في الغالب تعرضيه هجومية، فهم الذين يبدؤون العدو.

وهذا **أحد القادة المسلمين**، وهو القائد (خالد بن الوليد ﷺ) الذي قضى على قادة الرِّدة (طليحة الأسدي، ومسيلمة الكذاب)، وهزم قادة الفرس (هرمز، وبهمن)، وهزم الروم في معركة اليرموك الخالدة، رغم أنه ليس هناك أدنى تكافئ بين القوتين، الإسلامية والنصرانية (٤٠ ألف مقابل ٢٤٠ ألف)، فيقول أحد أفراد الجيش له: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين، فرد خالد ﷺ: (بل ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخُذلان). وكان ﷺ شديد الحزم، لا يتحرَّك ولا يبيت إلا على تعبئة واستعداد تام ، وعند موته ﷺ سطَّر تجربته مع الشجاعة فقال ﷺ: (لقد حضرت مائة زحف أو زهاءها، وما في جسدي موضع شِبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

٣) الذكاء:

إن **الكفاءة العقلية** هي أساس القيادة وتصريف أمور الجيش.

إن **فِكرة** بديعة يمكن أن تخترق أقوى الحواجز، وأن تفتح أبواب النصر، وتقلب موازين المعركة.

إن **مبادئ الحرب** تتطلب عقلية قيادية ذكية، تستطيع أن تموِّه على العدو، وتفجأه، وتُحقق الأمن والسلامة لقواتها، وأيضاً تستطيع كشف خطط العدو وخُدَعه ونواياه، وأن تصل إلى المعلومات المطلوبة لمواجهته.

صفحة الموجز ١-٧-١

إن من **أهم أسباب النصر**؛ اليقظة، والحذر، والإبداع، وذلك يتطلب عقلية متقدة ذكيَّة. وقد يفاجئه العدو بأساليب ووسائل قتالية لم يحتسب لها، مما يستدعي حلاً ذكياً سريعاً من القيادة.

وإن **القائد** يجب أن يتمَّيز بسياسته وحنكته وبُعد نظره، حتى إنه ليعطي لعدوه ما ظاهره الحظ للعدو وليس إلا العكس، كما فعل الرسول ﷺ مع قريش في صلح الحديبية العظيم. إن **القائد** يتعامل مع جيش وظروف محيطة، يحتاج أن يُلِمَّ بذلك، ليُحسن اختيار الأشخاص للمهمات، ويُوقع القرارات موقعها الصحيح، فلابد أن يكون على درجة عالية من الذكاء .

انظر دِقَّة اختيار سعد بن معاذ ﷺ حَكَما في شأن بني قريظة حلفاء الأوس، وقد عفا الرسول ﷺ عن بني قينقاع قبل، إرضاءا لبعض الخزرج حلفائهم، فلئلا يكون في نفوس الأوس حرج، جعل الرسول ﷺ الحكم لسيدهم، فحكم في بني قريظة بما يستحقون، فسُرَّ بذلك الرسول ﷺ، وأخبر أنه قد وافق حكم الله ﷻ فيهم.

إن **سِرَّ القيادة**؛ إقناع المرؤوسين بطاعة الرئيس، وكسب استجابتهم وانقيادهم له، ولا شك أن **لذكاء القائد** دور كبير في كسب قناعتهم، بما يقوم به من تصرفات قوليه أو فعليه، تجعله محل ثِقة جنوده، ومحل تقديرهم.

وإن اللياقة في معاملة **المرؤوسين** وحسن الخلق معهم، من أكبر أسباب حملهم على الطاعة والاقتداء والولاء والانضباط الذاتي، وهو ما يحتاجه القائد من جنوده دائماً، وفي مواقف الخطر خاصة.وقد **تميَّز** بذلك **الرسول** ﷺ في قيادته؛ ولذا قال له ربه عز وجل: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**) [آل عمران:١٥٩]، وكان لذكائه ﷺ وقدرته على الإقناع الأثر في ردِّ الصحابة ﷺ ما سَبَوه من هوزان في غزوة (حنين) إليهم، وكذلك أرضى الأنصار ﷺ بكلام لطيف عمَّا حرمهم من غنائم (حنين)، وحتى لم يجدوا في أنفسهم شيئا مما فاتهم من الغنيمة، فإنه بعد الغزوة جاء وفد هوزان مسلمين واستعطفوا الرسول ﷺ ليَرُدَّ عليهم ذراريهم وأموالهم، فخيَّرهم ﷺ إحداهما، فاختاروا فك الأسرى، فقام ﷺ في المسلمين فأثنى على الله ﷻ بما هو أهله ثم قال: (أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أردَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يَطِيب ذلك فليفعل، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل)،

صفحة الموجز ١-٧-١

فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال ﷺ: (إنا لاندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم)؟، فرجع الناس، فكلَّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا [رواه البخاري].

ولا شك أن في هذا **الموقف النبوي** غاية التَّأليف من القائد لجيشه والاهتمام بقناعتهم. وحين قسم ﷺ الأموال من الغنائم، بدأ بحديثي الإسلام ومن يريد تأليف قلوبهم على الإسلام، ولكنه حرم الأنصار رضي الله عنهم وهم أهل النُّصرة والجِوار، حتى وجدوا في أنفسهم، فكان له معهم خطاب لطيف أذهب كل ما في أنفسهم، وكشف لهم عن مقصده الشريف من هذه القسمة المتفاضلة، وكان مما قال ﷺ: (أما ترضون أن يَذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله، لو سلك الناس وادياً وسَلَكت الأنصار شِعباً، لاخترت شعب الأنصار) [متفق عليه].

٤) الخِبرة العسكرية الواسعة:

إذا كانت المسؤولية والأمانة لا يجوز أن تُوكل لغير المختص المؤهَّل، ولا أن تُطلب الأمور عند جاهل بها، فإن من **أثقل** المسؤوليات **وأخطر** الأمور القيادات العسكرية، فلابد أن يكون المرشَّح لها ذو علم وبصيرة في شؤونها؛ كالأنظمة العسكرية، والأحكام الشرعية ذات العلاقة، ومبادئ القيادة والإدارة، ومبادئ الحرب، ووسائلها.

إن العلوم العسكرية هي القوَّة التي تضيع أمامها قوة الأبدان وشجاعة القلوب وذكاء العقول، ولهذا يقول الرسول ﷺ: (ألا إنَّ القوَّة الرَّمي، ألا إنَّ القوَّة الرَّمي)، فالقيادة القوية هي القيادة الخبيرة بالأمور العسكرية حربها وسلمها. وبهذا العلم والخبرة يُفضَّل الشخص للقيادة على من هو أفضل منه فيما سوى ذلك؛ ولهذا أمَّر الرسول ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه على جيش ذات السلاسل بوادي العلا في جمادى الآخرة من السنة الثامنة للهجرة، وفي الجيش من هو أفضل منه كأبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة رضي الله عنهم. فعن عبدالله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل، وفيهم أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو رضي الله عنه أن لا يُنوِّروا ناراً، فغضب عمر رضي الله عنه وهمَّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر رضي الله عنه وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر رضي الله عنه) [رواه الحاكم وصححه الذهبي]. بل قد عقد الرسول ﷺ قيادة الجيش قبل موته لأسامة بن زيد رضي الله عنه وفي الجيش أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه.

صفحة الموجز ١-٧-١

٥) اللياقة البدنية:

إن كمال حواس القائد أمر مهم في ضبط عمله وتمام سيطرته وحسن انقياد الجيش له، وإن الجسم السليم عون على مُهمات القيادة وعزائم الأمور: بل قد قيل: (العقل السليم في الجسم السليم).

إن الكمال الخَلقي والقوة البدنية، من أهم وسائل التأثير في الأتباع للإنقياد والطاعة، وفي الأعداء للهيبة والخوف.

وتأمَّل في هذا الحوار القرآني المحكي عن بني إسرائيل بشأن ترشيح طالوت قائداً لهم، فاعترضوا عليه من جهة النَّسب ومن جهة المال، فردَّ عليهم نبيهم عليه السلام بذكر الصِّفات المهمة في القيادة العسكرية لا النَّسب ولا المال، فذكر اتصافه بالعلم العسكري الواسع، وبالجسم القوي اللائق عسكرياً، يقول الله تعالى: **(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** [البقرة:٢٤٧].

ثالثا: مهام القائد:

إن **القِيادة** من أفضل الأعمال، وأحسن الفرص لكسب الأجور العظيمة؛ لأنها إمامة في الخير وقيادة إلى نصرة الحق، ولذا كان من دعاء عباد الرحمن الفائزين: **(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)** [الفُرقان:٧٤]، وذلك إذا أحسن القائد الرِّعاية وأتقن واجبات القيادة، وهي لا شك كبيرة، لكن يُيسرها قصد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ورجاء رضاه وجنته.

ومن **تلك الواجبات:**

١) تقوى الله سبحانه وتعالى بإخلاص النية لله سبحانه وتعالى واحتساب ثوابه، ومراقبته جل جلاله، والتوكل عليه، وتنفيذ شرعه، فإن ذلك سبب النصر، وهو في حق **قائد** الجيش أوجب، ومن كان مع الله سبحانه وتعالى كان الله معه: **(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)** [النّحل:١٢٨].

وبهذا كان كل خليفة رضي الله عنه يوصِي قادته، وهي سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيرا) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٧-١

٢) حسن رعاية المرؤوسين بالتعرف عليهم ومعرفة قدراتهم، ومراقبتهم، وتقييمهم، ورفع كفاءتهم، وتوجيههم، وتحفيزهم، ورفع وإدامة معنوياتهم، وإطلاعهم على الأحداث، والرِّفق بهم، والمحافظة عليهم، وتأليفهم، ومشاورتهم، والعدل فيهم، والإحسان إليهم، وغرس الإخلاص والمسؤولية والوحدة في نفوسهم، يقول الله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**) [آل عمران:١٥٩]، ويقول الرسول ﷺ: (الإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته) [متفق عليه]، وقال ﷺ: (ما من أمير يَلي أمر المسلمين، ثم لا يَجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (إنَّ شرَّ الرعاء الحطمة) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تُحبونهم ويُحبونكم وتُصلُّون عليه ويُصلُّون عليكم) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فرَفِق بهم فأرفق به، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فشقَّ عليهم فأشقق عليه) [رواه مسلم].

٣) تطوير وسائل العمل من تحديد الأهداف وتنظيمها، ووضع **الإجراءات** واللوائح، ورسم **الخطط**، وتشكيل **المجالس والهياكل الإدارية**، والمحافظة على **العُهد** والممتلكات، والمحافظة على **أسرار** العمل، هذا مع واجب القائد نحو نفسه بالتطوير والمتابعة والتقييم، لما يعكسه ذلك على عمله وحسن قيادته والإقتداء به.

٤) الاستخبار على العدو، والاستعداد لهم، وإرهابهم، ومباشرة المقابلة لرسلهم.

وهذه الواجبات قد تكون من مهمات بعض القادة العسكريين دون بعض، أو لمجلس عسكري؛ لأن القيادة العسكرية تتدرج تدرجاً كبيراً، وغالباً ما تنفصل القيادة الاستراتيجية عن القيادة الميدانية.

ولكن المذكور من هذه **الواجبات** إن لم يكن مطلوباً من القائد مباشرة، فإنه مطلوب أن يُساهم في تحقيقه.

ومن أحسن وأجمع **الوصايا القيادية** في هذا الشأن، **وصية الخليفة أبي بكر** الصديق ﷺ لقائد جيشه يزيد بن أبي سفيان ﷺ في فتوحات الشام، ومما **جاء فيها**:

صفحة الموجز ١-٧-١

(عليك بتقوى الله، فإنه يَرَى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وأن أولى الناس بالله أشدهم تولِّياً له،وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله...، إياك وعصبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها. وإذا قدِمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لوقتها بإقامِ ركوعها وسجودها والتَّخشُّع فيها، وإذا قدِم عليك رُسُل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وأمنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولِّي لكلامهم، ولا تجعل سِرَّك لعلانيتك فيخلط أمرك. وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة. واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتُكشف عنك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه، فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، وأجعل النَّوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تَخَف من عُقوبة المستحق، ولا تلجن فيها ولا تُسرع أليها وأنت تجد لها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسدهم، ولا تتجسَّس عليهم فتفضحهم، واكتف بعلانيَّتهم، ولا تُجالس العابثين وجالس أهل الصِّدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس...) أهـ.

رابعا: واجبات على عامة الجيش:

إن نُصرة الدِّين، واجب عام على جميع المسلمين، يقول الله عز وجل: **(انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** [التوبة:٤١]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ)** [الصف:١٤].

ومن **التحق بالعمل العسكري** وتعيَّن فيه، فمسؤوليته عن نُصرة الدِّين أولى وأوجب من غيره من المسلمين، بحسب اختصاصه وطاقته.

وكما أن **القائد** مسؤول أمام الله ﷻ عن واجبات القيادة، فإن غيره مسؤول بحسب موقعه من العمل العسكري، كما قال الرسول ﷺ: (كُلُّكم راع، وكُلُّكم مسؤول عن رعيته) [متفق عليه].

وهذه بعض الواجبات التي ينبغي لكل من انتسب إلى العمل العسكري أن يُراعيها:

صفحة الموجز ١-٧-١

١) تقوى الله ﷻ بإخلاص العمل لله ﷻ، ومراقبة الله ﷻ في أدائه، وهذا **مفتاح** الانضباط الذاتي في العمل العسكري.

أما مُريد الدنيا وعابدها فهو لا يهتم بالعمل، إلا من حيث المصلحة الشخصية التي يحققها له، يقول الرسول ﷺ: (تَعِس عبد الدِّينار، وعبد الدرهم، وعبد الخَمِيصة، أن أُعطِيَ رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طُوبى لعبد آخذ بِعِنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مُغبرّة قدماه، إن كان في الحِراسة كان في الحِراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شَفع لم يُشفَّع) [رواه البخاري]، وبهذا الحديث العظيم رَسَم الرسول ﷺ معالم شخصية العسكري المخلص لله ﷻ، فهو يُؤدِّي عمله على أكمل وجه أيا كان موقعه ومرتبته، ومهما كان قدره عند الآخرين، ومهما كانت معاملة رؤسائه له.

٢) طاعة القيادة والجهة الرئاسية، والانضباط فيها، واحترامها، يقول الله عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)** [النساء:٥٩]، ويقول الرسول ﷺ: (من يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني) [متفق عليه]، وقال ﷺ: (عليك السَّمع والطَّاعة في عُسرك ويُسرك، ومَنشطك ومَكرهك، وأثَرة عليك) [رواه مسلم].

ومن **الانضباط العسكري**، الاستئذان من الجهة الرئاسية، والرجوع إليها في كل أمر يتطلب ذلك، والنَّصيحة لها، يقول الله عز وجل: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [النور:٦٢]، وقال ﷻ معاتباً: **(وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ)** [النساء:٨٣].

والمراد بالطَّاعة، الطَّاعة في غير معصية الله ﷻ، لقول الرسول ﷺ: (على المرء المسلم السَّمع والطَّاعة فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-٧-١

٣) التآخي والاتحاد في مجموعته، **والتعاون** مع العاملين معه، يقول الله تعالى: **(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)** [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)** [المائدة:٥٤]، وقال عز وجل: **(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)** [المائدة:٢]، وقال تعالى: **(فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ)** [الأنفال:١]، وقال تعالى: **(وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** [الأنفال:٤٦].

٤) حُسن أداء عمله، وتطوير **كفاءته،** والمحافظة على **سلاحه،** وما لديه من **العُهَد** العسكرية، والمحافظة على **ممتلكات العمل،** وعلى **الأسرار** التي يطَّلع عليها، يقول الله تعالى: **(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)** [الحج:٧٨]، وقال عز وجل: **(وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً)** [النساء:١٠٢].

ومهما اصطنع مِن عُذر وأُعطِيَ مِن إذن، وهو في الحقيقة غير معذور، فإنه مُلام عند الله ﷻ، يقول الله تعالى: **(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ)** [التوبة:٩٣].

صفحة الواجب ١-٧-١

س١: عدد الصفات اللازمة للقائد العسكري المسلم.

س٢: عدد واجبات القائد العسكري المسلم.

س٣: عدد اثنين من الواجبات التي ينبغي لكل من انتسب إلى العمل العسكري أن يُراعيها.

س٤: تكلم عن واجب طاعة العسكري لقيادته واحترامها، مع الدليل.

س٥: من الصفات اللازمة للقيادة العسكرية الإسلامية؛ الشجاعة والحزم وعلو الهمة، تكلم عنه بإيجاز.

النَّبي ﷺ المثل الأعلَى للعسكَرِيَّة

صفحة الموجز ١-٨-١

(١) الرسول ﷺ المثل الأعلى للعسكرية:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على الجانب العسكري في شخصية الرسول محمد ﷺ.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على الصفات المتميزة للقيادة العسكرية الناجحة للرسول ﷺ.

١-٢ يتعرف الطالب على الشواهد التطبيقية لهذه الصفات في قيادة الرسول ﷺ للجيش والتعامل مع جميع الظروف.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

الرسول ﷺ هو المثل الأعلى للعسكرية الإسلامية والمثل الأعلى للمسلمين جميعاً في سائر أمور الحياة.

٢ -ملخص المواضيع:

أ -التعلق التام بالله ﷻ.

ب -الحب الجم للعمل العسكري.

ت -اللياقة البدنية العالية وقوة التحمل.

ث -الشجاعة الباهرة.

ج -الخُلُق العسكري العظيم.

ح -القدرة العالية على الإقناع والتحفيز.

خ -الذكاء وبُعد النظر.

د -السيطرة على المواقف وحل المشكلات.

ذ -إنشاء وتأهيل الكفاءات العسكرية.

ر -تطبيق أفضل المبادئ العسكرية.

صفحة الموجز ١-٨-١

أولا: التَّعلُّق التَّام بالله ﷻ:

❖ لقد كان **هدف** رسول الله ﷺ وهَمّه الأكبر (إعلاء كلمة الله ﷻ)، فحين دَفَع رَاية القتال في غزوة (خيبر) إلى علي بن أبي طالب ﷺ قال له: (أنفذ على رِسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعم) [رواه البخاري].

وليس لهمته ﷺ تعلُّق بغير ذلك، سُئل ﷺ عن: الرجل يُقاتل شجاعة، ويُقاتل حَمِيَّة، ويُقاتل رِياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟، فقال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله) [متفق عليه].

❖ وهو ﷺ **المتوكِّل** على الله ﷻ الواثق بنصره، لا يعرف اليأس إلى قلبه طريقا؛ **جاء** خبّاب بن الأرت ﷺ يشتكي من أذى المشركين ويقول: أدع الله لنا . وكان النبي ﷺ متوسداً عند الكعبة . فجلس مُحمرَّ الوجه، وقال: (والذي نفسي بيده، إنه ليُؤتَى بالرجل قبلكم فيُوضَع المِنشار على مِفرق رأسه، فيُشق نِصفين، ما يَصرفه ذلك عن دينه، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله) [رواه البخاري].

وحين بلغ طلب كفار قريش إلى الغار يوم الهجرة، وخشيَ أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ منهم، طمأنه الرسول ﷺ قائلاً: **(لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا)** [التوبة:٤٠].

وحين أرسل أبو سفيان عقب معركة (أحد) يهدد المسلمين بالعودة للقضاء على الباقين، ردَّ الرسول ﷺ المسلمون: **(وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)** [آل عمران:١٧٣]، **(فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ)** [آل عمران:١٧٤]. وفي **صلح الحديبية** حين أكثر عمر ﷺ الجِدال في شروط الصلح، ردَّ عليه الرسول ﷺ في ثقة بالله ﷻ: (إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري ولن يضيعني).

❖ وفي ظروف **الأحزاب** القاسية، والمسلمون في غاية الحصار والخوف، كان ﷺ يبشر المسلمين بفتح بلاد فارس والروم واليمن؛ يقول البراء بن عازب ﷺ: لما كن يوم الخندق عَرَضَت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال:

صفحة الموجز ١-٨-١

(بسم الله)، ثم ضرب ضربة، وقال: (الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة)، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: (الله أكبر، أُعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن)، ثم ضرب الثالثة، فقال: (بسم الله)، فقطع بقية الحجر، فقال: (الله أكبر، أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني) [رواه أحمد والنسائي].

❖ **وكان** ﷺ ملازماً **للذكر**، والصلاة، والدعاء في الغزو.

وكان في طريق الهجرة يقرأ القرآن لا يلتفت، وكان أبو بكر ﷺ يكثر الإلتفات خوفاً عليه ﷺ، ثم قال: يا رسول الله هذا فارس أدركنا . فكان سراقة بن مالك . ثم كان من الأمر ما كان، وأنجى الله ﷻ نبيه ﷺ وصاحبه ﷺ [رواه البخاري].

❖ **وكان** ﷺ يُقيم **الصلاة** جماعة في الغزو أحسن إقامة، حتى كان العدو يعرف ذلك ويتحيَّنه؛ ولذا شرع الله ﷻ صلاة الخوف؛ روى [الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم] عن أبي عياش الزرقي ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعَسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل ﷺ بهذه الآيات: **(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ)** [النساء:١٠١].

❖ **وكان** ﷺ يحرص على **الدعاء** ويلح فيه كالمستغيث: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)** [الأنفال:٩]، حتى سقط رداءه وهو رافع يديه يدعو يوم (بدر)، فيرده أبو بكر ﷺ ويقول: (كفاك بعض مُناشدتك ربك، فإنه مُنجز لك ما وعدك) [رواه مسلم]، فبات ليلة المعركة يُصلِّي ويدعو، يقول علي بن أبي طالب ﷺ في وصف حالهم ليلة معركة **بدر**: (لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ، فإنه كان يُصلِّي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح)، ثم قال: (وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد. فلما طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله. فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرَّض على القتال) [رواه أحمد].

وفي ليلة (الأحزاب) ورغم شدة البرد والجوع كان ﷺ قائماً يُصلي ويدعو بأدعية كثيرة.

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ **ومن تمام تعلقه** ﷺ بالله ﷻ: حثه أتباعه على **تقوى الله** ﷻ، والتوكل عليه ﷻ، وإخلاص الجهاد له ﷻ وابتغاء ثوابه، فعن بريدة ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ﷻ، ومن معه من المسلمين خيراً)، ثم أوصاه بدعوة عدوه على الإسلام، فإن أبوا فالجزية، ثم قال: (فإن أبو فاستعن بالله وقاتلهم) [رواه مسلم].

وكان ﷺ يدفع أصحابه ﷺ إلى ساحات القتال بوعد الله ﷻ وثوابه الأخروي، فيقول لهم يوم **بدر**: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) [رواه مسلم]، ويقول لهم يوم **أحد**: (من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة) [رواه مسلم].

❖ هكذا الربانية والتعلق بالله ﷻ في حياة الرسول ﷺ، مثالاً لكل عسكري مسلم يطمح إلى العز والتمكين: (**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) [الفتح:٧]، (**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**) [المائدة:٥٦].

ثانيا: الحُب الجَم للعمل العسكري:

❖ وأي عمل يسمو في نفس رسول الله ﷺ على العمل الجهادي الذي به ينشر الحق ويزهق الباطل. إنه ﷺ لم يتمنَّ **الرجوع إلى الدنيا** إلا للعمل العسكري في سبيل الله ﷻ، يقول ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لولا أن أشقَّ على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلَّفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل) [رواه مسلم].

❖ **كان** ﷺ **يُخطط** للعمليات العسكرية، وكان **يقودها**، وكان **يُشارك** بنفسه في الغزوات التي يقودها. **عرض** عليه صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ الراحلة في الهجرة فأبى إلا بالثمن، **وكان** ﷺ يشارك في حفر الخندق مع أصحابه ﷺ ويشجعهم. **وكان** ﷺ يَستطِيب المشقة في الجهاد، يقول جندب بن سفيان ﷺ: دُميت أصبع رسول لله ﷺ في بعض المشاهد فقال: (هل أنت إلا إصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ ومنذ هاجر ﷺ إلى المدينة **كان الجهاد** يستهلك معظم وقته، حتى قاربت غزواته التي قادها بنفسه (الثلاثين) غزوة، وأما التي أرسلها بقيادة غيره فجاوزت ذلك. وإلى اللحظات الأخيرة من حياته **كان** ﷺ يُتابع الجيش إلى الشام والذي قد عقد لواءه لأسامة بن زيد ﷺ، فأنفذه أبو بكر ﷺ بعده.

❖ وكما أعطى للعمل العسكري نفسه وفكره ووقته، فقد **بذل** له **ماله**، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يُنفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكِراع عدّة في سبيل الله) [رواه البخاري]. **وكان** عتاده العسكري رأس ماله وخير ما يدخر، تقول أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ﷺ: (ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة) [رواه البخاري].

إنه الحب والتَّشرف بالعمل العسكري في سبيل الله ﷻ، متى تحقق كان العطاء والتضحيات، وكان الصبر والرِّضا.

ثالثا: اللياقة البدنية العالية وقوَّة التَّحمُّل:

❖ إن المعارك الكثيرة السَّاخنة التي خاضها رسول الله ﷺ، والنَّشاط العسكري الكبير الذي قام به، بدأ وهو في (الثالثة والخمسين) من عمره ﷺ المليء بمهام الدعوة ومشاقها وهمومها.

❖ إنه رغم الإصابات الشديدة التي لحقت به في **معركة أحد** .كُسرت رُباعيَّته وشُجَّ في وجهه ﷺ . ورغم حزنه على فقد (سبعين) من أصحابه ﷺ وكبار جنوده؛ منهم عمه وأخوه من الرِّضاع حمزة بن عبدالمطلب ﷺ، ورغم الجهاد الكبير الذي بذله في القتال، فإنه منذ انصرفت قريش إلى مكة، قام فانتدب المسلمين ممن شاركوا في أحد باللحاق لمطاردة جيش قريش، حتى بلغ (حمراء الأسد) وعسكر بها ثلاثة أيام، فسجَّل الله ﷻ للمسلمين تلك الاستجابة والتَّحمل للمشقة والجراح والحزن، فقال تعالى: **(الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** [آل عمران:١٧٢].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وفي **غزوة الخندق** وأثناء حفر الخندق، كان الموسم بارداً شديداً، وكانت آنذاك فاقة وجوع، فكان الرسول ﷺ المثل الأعلى لأصحابه ﷺ في العمل وفي القوة والصبر، يقول جابر بن عبدالله ﷺ: (إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال ﷺ: أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذوقاً، فأخذ ﷺ المعوَل فضرب به الكدية، فعاد كثيباً أهيل) [رواه البخاري].

❖ وعقب **غزوة بني المصطلق** (المريسيع) حرَّك الرسول ﷺ الجيش قرابة (٣٠ ساعة) متواصلة؛ ليشغلهم عن الحديث في الفتنة التي آثارها المنافقون حينذاك.

❖ وكانت **غزوة حُنين** أشد ما مرَّ على الرسول ﷺ من القتال والمجالدة، ومع هذا ورغم أنها متصلة بغزوة الفتح مباشرة، فقد قام ﷺ بمطاردة هَوَازن عقب حُنين، ثم مال على الطائف فحاصرها.

❖ وهذه **غزوة تبوك** يقودها الرسول ﷺ وهو في (الثانية والستين) من عمره المليء بالمشاق وبالمسؤوليات الكبيرة، غزوة في شِدَّة الصيف، وقِلَّة المؤونة والظَّهر، إلى مكان بعيد جداً حوالي (٨٠٠ كم)، لمواجهة عد وذي عدد وعدة، إنها ساعة عَسِرة بحقٍّ، كما سماها الله ﷻ في كتابه: (**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**) [التوبة:١١٧]، أثبتت اللياقة العالية للرسول ﷺ ولجنوده العظماء، لياقة الأبدان ولياقة النفوس والهِمم.

رابعا: الشَّجَاعة الباهرة:

❖ **الشجاعة** انشراح في القلب، وثقة في النفس، وانضباط في المشاعر، أمام المواقف الصعبة، لأداء مهام العسكرية وأهدافها الكبيرة على أكمل وجه، فتلك هي الشِّدة القلبية التي مدح الله ﷻ بها نبيه محمد ﷺ وجنوده، فقال تعالى: (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**) [الحُجُرات:٢٩].

إن **معظم** معارك الرسول ﷺ تعرضية **هجومية** من قبل الرسول ﷺ على العدو، وفي **معظم** عملياته العسكرية كان العدو أكثر عدداً وعدة، ولم يُغيِّر ذلك من إقدامه شيئاً.

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ خاض ﷺ **بدراً** ولم يكن مستعداً لحرب، أمام جيش كبير متأهِّب حانق، فقاتلهم وهو يردد: (**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**) [القمر:٤٥]، فاستأصلهم وحطَّم كِبرياءهم.

❖ ويوم **أحد** شاور الرسول ﷺ أصحابه ﷺ في الخروج إلى جبل أحد لملاقاة الجيش المكي الكافر، وكان رأيه ﷺ وبعض شيوخ الصحابة ﷺ القتال من داخل المدينة وعدم الخروج، لكن الكثير من الصحابة ﷺ ومن لم يحضروا غزوة بدر ألحُّوا عليه في الخروج، حتى وافقهم، واستعد للخروج ولبس درعه وسلاحه، فقال أصحاب هذا الرأي: (لعلنا استكرهناك يا رسول الله، فإن شئت فاقعد)، فقال ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل) [رواه أحمد].

ويوم أن **ترك الرُّماة** موقعهم على جبل (أحد)، وأصاب المسلمين ما أصابهم، وتولى أكثرهم مُصعدين لا يلتفتون إلى شيء، كان الرسول ﷺ ثابتاً في أرض المعركة: (**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**) [آل عمران:١٥٣].

❖ ولما **انصرف** أبوسفيان عن المعركة نادى: إنَّ موعدكم (بدر) العام القابل. فأجابه الرسول ﷺ إلى ذلك، وخرج في الموعد المحدد إلى (بدر) وعسكر بها ثمانية أيام ينتظر جيش قريش، الذي أصابه الرعب منذ خرج من مكة، فرجع من أول الطريق.

❖ ويوم أن **سار** ﷺ إلى مكة معتمراً . في ألف وأربعمائة من أصحابه ﷺ . فصدَّته قريش بالحديبيّة، وأرسل إليهم عثمان بن عفان ﷺ يُفاوضهم، فتأخر وشاع أنهم قتلوه، قال الرسول ﷺ: (لا نبرح حتى نُناجز القوم)، ودعا أصحابه ﷺ إلى البيعة، فبايعوه صادقين، فأنزل الله تعالى: (**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**) [الفتح:١٨].

❖ لقد كانت **شجاعته** ﷺ وثقته بنفسه تُرهب الأعداء، غزا **خيبر** فبات قريباً منها، فلما أصبح صلى الفجر بغَلَس، وركب إليها، فخرج أهل خيبر بمساحيهم لا يشعرون، فلما رأوا الجيش قالوا: (محمد، والله محمد والخميس)، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبي ﷺ: (الله أكبر،خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين) [البخاري ومسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وكان موقف **البطولة** الكبير للنبي ﷺ في **حُنين** حين انكشف المسلمون أمام وابل النبال من الكمائن التي اتخذتها هوازن في جنبات الوادي حين سبقوا إليه، يقول الله تعالى: (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**) [التوبة:٢٥]، فثبت لهم الرسول ﷺ في نفر يُعدون على الأصابع، وكان يركب بغلته ـ لا خيلاً ـ تعبيراً عن الصُّمود، وقد طفق يركز بغلته قبل العدو وهو يقول: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، فكان عمه العباس ﷺ وسفيان بن الحارث ﷺ يُمسكان بعنان بغلته لئلا تُسرع به خلال العدو. وقد أمر الرسول ﷺ عمه العباس ﷺ ـ وكان جهير الصوت ـ أن يُنادي في الصحابة ﷺ ليجتمعوا إليه، حتى اجتمع إليه منهم (مائة)، فقاتلوا هوازن، وبدأت جولة جديدة مليئة بالشجاعة والتوكل على الله ﷻ، وكان القتال شديداً فنظر الرسول ﷺ وهو على بغلته ـ كالمتطاول عليها إلى قتالهم ـ فقال ﷺ: (هذا حين حَمَى الوطيس)، يقول سلمة بن الأكوع ﷺ: رجعتُ مُنهزماً، وعليَّ بُردتان مُتَّزراً بإحداهما مُرتدياً بالأُخرى، فاستطلق إزاريَّ فجمعتهما جميعاً، ومررتُ مُنهزماً على رسول الله ﷺ وهو على بغلته الشَّهباء، فقال ﷺ: (لقد رأى ابن الأكوع فَزَعاً)، **سبحان الله!**، وكأنه ﷺ لم يرَ فَزَعاً.

فلما غَشِيه الأعداء نزل عن بغلته وترجَّل، ثم أخذ قبضة من الأرض فرمى بها في وجوه الكفار وهو يقول: (شاهت الوجوه، انهزِموا وربِّ محمد)، فلم يصمدوا طويلاً وولَّوا مُدبرين [رواه مسلم].

❖ يقول البَراء بن عازب ﷺ في **وصف رسول الله** ﷺ: (كُنَّا إذا احمرَّ البأس نتَّقي به، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به) [رواه مسلم]، ويقول علي بن أبي طالب ﷺ: (كُنَّا إذا اشتدَّ البأس واحمرَّت الحدق، لم يكن أحد أقرب إلى العدو منه ﷺ) [رواه أحمد وغيره]، وعن أنس ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزِع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُري، في عنقه السيف، وهو يقول: لم تُراعوا، ثم قال: وجدناه بحراً ـ يعني الفرس ـ قال أنس: وكان فرساً يُبطَّأ) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وكان ﷺ **يُربِّي** أتباعه على الشجاعة بقوله وفعله؛ جاءه ﷺ رجل فقال: أرأيت إن جاء رجل يُريد أخذ مالي؟، قال ﷺ: (فلا تُعطه مالك)، قال: أرأيت إن قاتلني؟، قال ﷺ: (قاتله)، قال: أرأيت إن قتلني؟، قال ﷺ: (أنت في الجنة)، قال: أرأيت إن قتلته؟، قال ﷺ: (هو في النار) [رواه مسلم].

وتأمَّل في الذين تربوا في بيته ﷺ أو لازموه، مدَى الشجاعة التي انطبعت عليهم؛ كالصاحبين أبي بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد ﷺ.

خامسا: الخُلُق العسكري العظِيم:

❖ إن الصِّدق والأمانة والخُلُق العظيم الذي عُرف به الرسول ﷺ من قبل الإسلام، زاده الإسلام في نفسه رُسُوخاً، فرغم الخصومة الشديدة التي واجهها من قريش والمكر الكبير الذي دبَّروه حتى حاولوا قتله وأخرجوه من بلده، وحين أراد العمرة في السنة السادسة للهجرة صدُّوه ومنعوه، فاستجاب لطلبهم، وقد بلغ الحديبية، وتحلل ﷺ وأصحابه ﷺ من عمرتهم – وقلوبهم تشتعل شوقاً إلى البيت الحرام – وأعطى لقريش صلحاً آمناً عشر سنين، وكانت شروطه على المسلمين ثقيلة، فوفَّى لهم به، حتى إنه أثناء كتابة عقد الصلح والتفاوض في شرط (ردّ من جاء مسلماً من قريش إليهم) جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ﷺ من مكة يرسف في قيوده حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش في الصلح: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، فقال: والله إذا لم أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: فأجزه لي، فقال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فأفعل، قال: ما أنا بفاعل [رواه البخاري]. ومن مواقف الكفر المتعنتة أثناء كتابة الصلح، رفض مندوبهم كتابة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وقال: لا نعرف الرحمن، اكتب: باسمك اللهم، فأمر النبي ﷺ الكاتب وهو (علي بن أبي طالب ﷺ) أن يكتب: بسمك اللهم، ولما كتب النبي ﷺ هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله...) رفض مندوب قريش، وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال ﷺ: والله إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي: (هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله...).

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وحين **نقضت** قريش **الصلح** باعتدائها على خُزاعة وقتلها عدداً من رجالهم. وكانوا في حلف الرسول ﷺ حسب شروط صلح الحديبية، ولم يكونوا مسلمين . ناصرهم **ووفىَّ** بحلفهم، فحرَّك جيشاً كبيراً إلى (مكة) ففتحها.

❖ ومن عجيب **وفاء الرسول** ﷺ **بالعهود** ما [رواه مسلم] عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل، قال: فأخَذَنا كُفار قريش وقالوا: إنكم تريدون محمدا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفِي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم).

❖ وإتباعا لهدي القرآن في **الوفاء بالعهد**، نهى الرسول ﷺ عن مباغتة العدو الذي ظهر منهم نِيَّة الغدر إلا بعد إبلاغهم بنبذه عهدهم، يقول عمرو بن عبسة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلَّنَّ عهداً ولا يشدَّنه حتى يمضي أمده، أو يَنبذ إليهم على سواء) [رواه الترمذي وصححه].
إنه الوفاء بالعهود، أعظم مما تعرفه هيئات الأمم والدول الحديثة.

❖ **وتأمَّل** موقفه ﷺ مع **سفير** قريش، الذي رغب في الإسلام وطلب اللجوء للمسلمين؛ [روى الإمام أحمد وأبو داود]: أن قريشاً أوفدت أبا رافع إلى النبي ﷺ، فوقع الإيمان في قلبه، فقال: لا أرجع إليهم وأبقى معكم مسلماً، فقال له رسول الله ﷺ: (إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد، فأرجع إليهم آمناً، فإن وجدت بعد ذلك في قلبك ما فيه الآن فأرجع إلينا). وعن نُعيم بن مسعود رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول لرسولي مسيلمة حين قرأ كتابه: ما تقولان أنتما؟، قالا: نقول ما قال، قال: أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما) [رواه أحمد وأبو داود].

❖ إنه ﷺ أكرم الناس في **معاملة عدوِّه**؛ فكان يوصي أمراءه وقادته فيقول: (أغزو باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا،ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدا) [رواه مسلم]، وفي [الصحيحين]: (أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر قتل النساء والصبيان)، وفي [الصحيحين]: أنه ﷺ وصَّى بالأُسارى خيراً.

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وكان من خُلُقه ﷺ **حفظ الجميل لأهله**، وإن كان كافراً، فحين رجع الرسول ﷺ من الطائف لم يستجيبوا لدعوته وآذوه، ومنعته قريش أن يدخل مكة، فأجاره المطعم بن عدي، فلما كانت معركة بدر الكبرى ووقع أسرى قريش في يد الرسول ﷺ، رفض فكَّهم إلا بالفداء، رغم كل الشفاعات، ولكنه قال: (لو كان المطعم بن عدي حيَّاً ثم كلَّمني في هؤلاء النَّتنى . يقصد الأسرى . لتركتهم له) [رواه البخاري].

❖ وكان من خُلُقه ﷺ **صدق المحبة لجنوده**، وإكرامهم ومن يصلونهم، وحفظ العهد والجميل لهم؛ فعن أنس ﷺ قال: إن النبي ﷺ لم يكن يَدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سُليم . إلا على أزواجه . فقيل له؟ فقال ﷺ: (إني أرحمها، قُتل أخوها معي) [رواه البخاري]، **والمراد** أخوها حَرَام بن مِلحان ﷺ الذي بعثه الرسول ﷺ بكتاب إلى عامر بن الطفيل يدعوه للإسلام، فطعنه غدراً فقتله، في مأساة بئر معونة.

❖ وكان **موقفاً نبوياً** عظيماً يوم أقرَّ ﷺ **جِوار** أم هانئ ﷺ حين أجارت يوم فتح مكة رجلين مشركين من أحمائها، [روى البخاري] عنها قالت: قلت يا رسول الله زعم ابن أمي . تعني علي بن أبي طالب ﷺ . أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فقال رسول الله ﷺ: (قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ).

❖ ومن **رعايته** ﷺ **لجنوده** أنه كان يتخلَّف في ساقتهم في المسير، فيُزجي الضَّعيف، ويردف المنقطع، ويدعو لهم [رواه أبو داود].
وحين أُصيب سعد بن معاذ سيد الأوس ﷺ يوم الأحزاب في أُكحله . العِرق الذي في الذِّراع . ضرب له النبي ﷺ خيمة في المسجد، ليزوره من قريب [رواه البخاري].

❖ **وكان** ﷺ **يشاور** أصحابه ﷺ كثيراً.

❖ **وكان يُوصي** قادته بحسن المعاملة لقواتهم؛ يقول بُريدة بن الحصيب ﷺ: (كان النبي ﷺ إذا أمرَّ أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً) [رواه البخاري].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ ورغم الخطر الذي تعرَّض له يوم (حنين) وقد فرَّ عنه ﷺ كثير من أصحابه ﷺ، فإنه **لم يُعنِّف** أحداً منهم، وحين قالت له أم سُليم ﷺ: يا رسول الله اقتل من بعدنا الطلقاء انهزموا بك، قال ﷺ: (يا أم سليم إن الله عز وجل قد كَفَى وأحسن) [رواه مسلم].

❖ بل **عفا** عن أشد من ذلك؛ مراعاة للسابقة الحسنة؛ فهذا حاطب بن أبي بلتعة ﷺ وهو من المجاهدين البدريين، وقد أرسل بكتاب يُخبر قريشاً بمسير الرسول ﷺ إليهم حين الفتح، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ يُخبره، فطلب الكتاب، وحقق مع حاطب، فاعتذر بأنه ليس له عشيرة بمكة تَحمي أهله عندهم، فأراد أن يجعل له عند قريش معروفاً، فحينئذ عفا عنه الرسول ﷺ، وقال: (لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [رواه البخاري ومسلم].
وقد أخبر الله ﷻ عن **أخلاقه** ﷺ **الكريمة** وأثرها في قيادته، فقال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)** [آل عمران:١٥٩].

سادسا: القدرة العالية على الإقنَاع والتَّحفِيز:

❖ إن **حقيقة القيادة** وميزانها، هو التَّأثير والإقناع للمرؤوسين، بالاستجابة للقيادة وامتثال أهدافها. وليست الاستجابة للقيادة النبوية لأجل الضرورة الإيمانية فقط، بل إن للأسلوب الإقناعي الذي يملكه الرسول ﷺ الأثر العظيم في استجابة أتباعه له، ورضاهم عنه.

❖ لقد كانت **غزوة حُنين** نصراً وتوفيقاً من الله ﷻ، فلم تُغنِ كَثرة الجيش الإسلامي شيئاً، وولوا مدبرين: **(ثُمَّ أَنزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ)** [التوبة:٢٦].
وقد أعقبت تلك المعركة أسرى وغنائم عظيمة، وقد جاء وفد هوازن مسلمين، واستعطفوا الرسول ﷺ ليرد عليهم ذراريهم وأموالهم، فخيَّرهم إحداهما، فاختاروا فكَّ الأسرى، فقام ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد، فإنَّ إخوانكم قد جاؤوا تائبين، وأني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يَطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه من أول ما يفيء الله علنيا فليفعل)، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال ﷺ: (إنا لا

صفحة الموجز ١-٨-١

ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم) فرجع الناس، فكلَّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا [رواه البخاري]، ولا شك أن في هذا الموقف النبوي غاية التأليف، ودليل العناية بأمر الإقناع والرضا الحقيقي لا الصوري.

❖ أما **الغنائم** فقد قسمها الرسول ﷺ في الجُعرَّانة بعد حصاره للطائف، وقد راعى في قسمتها مصلحة الإسلام والدعوة، بأن أعطى أكبر الأُعطيات لحديثي الإسلام من رؤساء القبائل ووجهائها تأليفاً لقلوبهم، ثم قسم في الجيش بالتساوي، وأخذ وَبَرة من بعير وقال: (أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة، إلا الخُمُس، والخُمُس مردود عليكم) [رواه أحمد وغيره]. وقد كان لهذه القسمة **أثرها الحكيم**؛ يقول صفوان بن أمية ﷺ وهو من المؤلَّفة قلوبهم آنذاك: (لقد أعطاني رسول الله ﷺ، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ) [رواه مسلم]، ويقول أنس ﷺ: (إن كان الرجل ليُسلم ما يُريد إلا الدُّنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) [رواه مسلم].

❖ ولكن هذه **السِّياسة الحكيمة** لم تُفهم من بعض الصحابة ﷺ، فشاع عنهم بعض الكلام، فبيَّن الرسول ﷺ الأمر بإقناع وتلطُّف فقال ﷺ: (إني لأُعطي رجالاً حُدَثاء عهد بكفر أتألفهم) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (إني لأعطي الرجل، وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، مخافة أن يُكبه الله في النار) [متفق عليه]، وقال ﷺ: (والله إني لأُعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجَزَع والهلع، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغِنَى والخير) [رواه البخاري].

❖ ولعل الأنصار كانوا أكثر تأثراً من غيرهم، لما لهم من فضيلة الإيواء والمناصرة للرسول ﷺ والمهاجرين، ولدورهم المشهود في أحداث معركة (حُنين)، فإليك خبرهم لتشهد **أعجب مواقف الإقناع والتَّأثير** من القائد العظيم رسول الله ﷺ؛ [روى ابن إسحاق] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (لما أعطَى رسول الله ﷺ ما أعطَى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القَالة، حتى قال قائلهم: لقي الله ورسول الله ﷺ قومه. فدخل عليه سعد بن عبادة ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار

صفحة الموجز ١-٨-١

قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمتَ في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد؟، قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال ﷺ: فاجمع لي قومك في هذه **الحظيرة**، فخرج سعد ﷺ، فجمع الأنصار ﷺ، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشرَ الأنصار ما قاله بلغتني عنكم؟، وَجدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم في لُعَاعة من الدنيا تألَّفت بها قوماً ليُسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم!، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشَّاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سَلَك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شِعباً، لسلكت شِعب الأنصار، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضلُّوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظّاً) [رواه أحمد ورواه البخاري مختصراً].

❖ ولقد **كان** للرسول ﷺ أساليبه البليغة في **إثارة الهِمم** حتى يبذل الجندي كل ما لديه من طاقة، كما قال الله ﷻ له: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)** [الأنفال:٦٥].

❖ **فمن ذلك: الخُطَب** الحماسية، **والمشاركة** للجيش، وترديد **الشِّعر** الحماسي؛ [روى البخاري] عن أنس ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى (الخندق)، فإذا المهاجرون ﷺ والأنصار ﷺ يحفرون في غَداة باردة . فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم . فلما رأى ما بهم من النَّصب والجوع قال ﷺ:

اللهمَّ إنَّ العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا ﷺ مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه . وكان كثير الشَّعر . فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ﷺ وهو ينقل من التراب، ويقول ﷺ:

اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلنْ سَكينةً علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إنَّ الأُلى قد بَغوا علينا وإنْ أرادوا فِتنةً أبينَا

قال ﷺ: ثم يُمد بها صوته بآخرها [رواه البخاري].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ ومن **الأساليب النبوية التحفيزية** أيضاً: البيعة عند القتال، وإعلان السَّلَب للقاتل، وتوزيع الكتائب والرَّايات بحسب القبائل والانتماءات، وإثارة النَّخوة.

❖ فحين ولَّى الجيش الإسلامي في **حُنين** مدبراً أمر الرسول ﷺ عمه العباس ﷺ. وكان رجلاً صيِّتاً. أن ينادي أصحاب بيعة الرضوان، يقول العباس ﷺ: فقلت بأعلى صوت: أين أصحاب السَّمُرة؟، قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا: يا لبيك! يا لبيك!، قال: فاقتتلوا والكفار. والدعوة في الأنصار: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدَّعوة على بني الحارث من الخزرج [رواه مسلم].

❖ وبيعة الرضوان المذكورة في الحديث هي البيعة التي جرت بين الرسول ﷺ وجنوده في **الحديبية** حين أُشيع أنَّ قريشاً قتلوا عثمان بن عفان ﷺ الذي بعثه مندوباً إليهم، يقول سلمة بن الأكوع ﷺ في شأن هذه البيعة العظيمة: (بايعت النبي ﷺ، ثم عدلت إلى ظل شجرة، فلما خفَّ الناس، قال ﷺ: يا ابن الأكوع ألا تُبايع؟، قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: وأيضاً. فبايعته الثانية)، فقيل لسلمة ﷺ: على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟، قال: على الموت [رواه البخاري].
وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم **أحد** فقال: من يأخذ مني هذا؟، فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، أنا. قال ﷺ: من يأخذه بحقِّه؟، فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دُجانة ﷺ: أنا آخذه بحقِّه، قال: فأخذه فَفَلَق به هام المشركين) [رواه مسلم].

❖ ولقد كان **لألقاب التشريف وكلمات الثناء** التي يطلقها الرسول ﷺ أبلغ الأثر في نفوس جنوده؛ يقول ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ يوم **أحد**: (ارم فداك أبي وأمي). **وكذلك** فدَّى بهما الزبير بن العوام ﷺ يوم **الخندق**، وقال له: (إن لكل نبيٍّ حواريًّا، وحواريَّ الزبير) [رواهما البخاري ومسلم]، وقال ﷺ عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ وقد أعجبه استبساله يوم **أحد**: (لصوت أبي طلحة في الجيش، أشد على المشركين من فئة) [رواه أحمد]، وقال ﷺ لحسَّان بن ثابت ﷺ مشجِّعاً له: (اهجهم وجبريل معك) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (هجاهم حسَّان فشفى واشتفى) [رواه مسلم]، وقال ﷺ في غزوة **ذي قرد**: (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجَّالتنا سلمة) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

ولقَّب حمزة بن عبدالمطلب ﷺ بأسد الله وأسد رسوله، **ولقَّب** خالد بن الوليد ﷺ بسيف الله [رواه البخاري].

سابعا: الذَّكَاء وبُعد النَّظَر:

❖ من يَدرس غزوات الرسول ﷺ وخططه وأعماله العسكرية، يُدرك مَدَى الموهبة العقلية التي يتمتع بها ﷺ.

ولكن هنا **نموذج** واحد **لأعماله** ﷺ **العسكريَّة الذكيَّة** والتي أذهلت كبار أصحابه ﷺ، وكانت فتحاً مُبيناً للإسلام والمسلمين.

❖ ففي ذي القعدة من **السنة السادسة**، خرج الرسول ﷺ مُعتمراً في حشد من أصحابه ﷺ ومعهم الهَدي، لإبطال دعاية قريش أن المسلمين يصدون عن المسجد الحرام ولا يحترمونه، **وقد** أخذ المسلمون سلاحهم لاحتمال أن تقاتلهم قريش، **وقد** سلك الرسول ﷺ بجيشه طريقاً يُجنِّبه القتال مع قريش حتى يبلغ الحَرَم، ولكنهم صدوه عند الحديبية، وكان ﷺ حريصاً على عدم القتال؛ تعظيماً لحرمة مكة، واستبقاء على حياة قريش أملاً في إسلامهم.

علماً أن الرسول ﷺ قد كسب الموقف، سواء تركوه أو ردُّوه، فإن اعتمر كان حديث العرب وظهرت قوة المسلمين، وإن ردُّوه كانت فضيحة عليهم وعرف الناس من هم الذين يصدون عن البيت الحرام.

❖ ورغم **الرُّسل** الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى قريش، فقد أبوا عليه أن يَدخلها، ولم يَستجيبوا لنصح أصاحبهم ومندوبيهم؛ كعروة بن مسعود الثقفي، الذي أبهره تعظيم الصحابة ﷺ للنبي ﷺ، ومثل الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش، فإن الرسول ﷺ حين رآه مُقبلاً طلب من الصحابة ﷺ أن يُظهروا أمامه إبل الهدي المشعَرة، وأن يُلبوا أمامه، لأنه من قوم يعظمون الشعائر، فلما رأى ذلك رجع إلى قريش فقال: (رأيت البُدُن قد قُلِّدت وأُشعِرت، فما أرى أن يُصدوا عن البيت) [رواه البخاري]، وكان آخر مندوب لقريش إلى المسلمين هو سهيل بن عمرو، الذي أجرى عقد الصلح مع النبي ﷺ، على أن لا يدخلوا مكة إلا بعد عام، فيقيموا بها ثلاثة أيام معهم السيوف مغمودة فقط.

صفحة الموجز ١-٨-١

وتمَّ فيه وضع الحرب بين المسلمين وبين قريش عشر سنين، وأن **يردَّ** المسلمون من أتاهم من قريش، ولا تلتزم قريش بردِّ من لحق بها من المسلمين.

حتى إن الرسول ﷺ أثناء العقد ردَّ أبا جندل ﷺ إلى قريش، وأبو جندل ﷺ يقول: (يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشِّرك فيفتنوني في ديني)، وشقَّ ذلك على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله نكتب هذا؟!، قال ﷺ: (نعم، إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فَرَجاً ومخرَجا) [رواه مسلم].

والحقيقة أنى لقريش أن تَظفر بمسلم يذهب إليهم مُرتدَّاً بعد أن ذاق طعم الإيمان واستبان الحق من الباطل!، فكأنه شرط لا وجود له.

وقد **أشكل** الأمر كثيراً على عمر ﷺ . وهو الفاروق العظيم والسياسي المحنَّك .: يقول ﷺ: (فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبي الله حقا؟، قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟، قال: بلى، قلت: فلم نُعطي الدَّنية في دِيننا إذاً؟، قال ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟، قال: بلى، فأخبرتك أنك تأتيه العام؟، قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به) [رواه البخاري].

ثم نَحَر الرسول ﷺ والمسلمون هديهم، **وتحلَّلوا** من عمرتهم، **ورجعوا** إلى مدينتهم، وفي الطريق **نزلت** سورة الفتح: (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**) [الفتح:١]، فسُرَّ بها الرسول ﷺ والمسلمون سروراً كبيرا.

❖ **ثم** بدأت تتضح لهم **معالم** هذا الفتح، **وحِكمة** هذا الصُّلح؛ **فقد** أصبح اعترافاً لأول مرَّة من قريش أمام القبائل بالكيان الإسلامي، **وكان** سبباً لاختلاط المسلمين بالكفار فتفاوضوا في الحديث عن الإسلام فدخل فيه كثير منهم.

وتفرَّغ المسلمون للدعوة والجهاد، فأرسل الرسول ﷺ الكُتُب والسُّفَراء إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام؛ كالنجاشي، والمقوقس، وهرقل، وكسرى.

وكان الذين دخلوا في الإسلام بعد الصلح أضعافاً عمن دخلوا قبله طيلة عشرين عاماً تقريباً.

وفتح الرسول ﷺ أهم أخطر معاقل اليهود في الجزيرة وهو (خيبر)، وأهلها هم الذين جرُّوا الأحزاب على المدينة، وبهذا أمِن خطراً كبيراً، حيث كان اليهود في (خيبر) يتآمرون للقضاء على المدينة، فلو اشتغل المسلمون بحرب قريش، لكانت فرصة لهؤلاء اليهود يقتحمون المدينة والمسلمون عنها بعيد.

صفحة الموجز ١-٨-١

ومن **فوائد** هذا **الصُّلح** أن دخلت بموجبه قبيلة خُزاعة في حِلف الرسول ﷺ، فكانت عَيناً له بمكة على قريش.

❖ وأما **شرط الرَّد** لمن لحق بالمسلمين من قريش، فقد كان عليهم لا لهم، حتى طلبوا التَّخلص منه؛ فقد جاء أبو بَصير ﷺ مسلماً، فأرسلت قريش في طلبه رجلين، فسلَّمه الرسول ﷺ إليهم، وفي الطريق تمكن أبو بَصير ﷺ من قتل أحد الرجلين وفرَّ الثاني إلى المدينة، وخلفه أبو بصير ﷺ حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال: (قد والله أوفَى الله ذمَّتك، قد رددتني إليهم، ثم نجَّاني الله منهم)، فقال النبي ﷺ: (ويل أمَّه، مُسعِّر حرب، لو كان له أحد)، فلما سمع ذلك أبو بصير ﷺ، عرف أن النبي ﷺ سيردَّه عليهم مرَّة أخرى، فخرج حتى أتى سيف البحر، ولحق به أبو جندل ﷺ وغيره، حتى اجتمعت منهم عصابة، لا يدخلون في حِلف النبي ﷺ وصلحه وليسوا عنده، وأخذوا يقطعون على قريش تجارتها، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تستجديه أن يُرسل إليهم ويقبلهم في حِلفه، وأن يَعفي قريشاً من ذلك الشرط! [رواه البخاري].

ثامنا: السَّيطرة على المواقِف وحل المشكلات:

❖ كثيراً ما تحدث **المفاجئات**، وبخاصة لمثل الجيش الإسلامي النَّاشئ بالمدينة النبوية، والذي تُحيط به الأخطار والمطامع من كل جانب.

وقد يملك العدو زِمام **المعركة**، ويختل نظام الجيش الإسلامي، كما حدث في (أحد) وفي (حُنين)، مما يتطلَّب تصرُّفاً قوياً مبادِراً من القيادة النبوية لكسب الموقف.

❖ ومن **أعجب مواقف القيادة النبوية**، إنقاذ الجيش الإسلامي في (**أحد**)، وقلب هزيمته إلى نصر.

فمن المعلوم أن الرسول ﷺ حين خطَّطَ معركة (أحد)، وحدَّدَ مقاعد القتال لجنوده، اتَّخذ جماعة من الرُّماة الماهرين، وجعلهم على الجبل يسار الجيش، وقال لهم: (انضحوا الخيل عنَّا بالنَّبل، لا يأتوننا من خلفنا،إن رأيتمونا تخطفنا الطَّير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أُرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطَأناهم، فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم) [رواه البخاري]، ولكنَّ الرُّماة ما إن رأوا المشركين قد انهزموا وأدبروا حتى أقبلوا على الغنيمة، يُصيبون منها مع غيرهم من المسلمين، فالتفَّ فرسان المشركين من خلفهم، فأوقعوا في المسلمين قَتلاً وفَزَعاً عظيماً، وانهزم كثير منهم، وما ثبت مع الرسول ﷺ إلا نفر

صفحة الموجز ١-٨-١

قليل جداً، **فقام** الرسول ﷺ بإلهاب حماسهم، وحَشد طاقاتهم، فقاتل بهم قِتالاً مريراً صدَّ به جيش قريش كله، وعدَّل ميزان المعركة.

ثم هتف ﷺ بأصحابه ﷺ، فأنحاز بهم إلى الجبل، وبَرَدت الحرب، وأسرعت قريش بالرَّحيل، لم يأسروا ولم يغنموا.

وعَرَف الرسول ﷺ أنَّ قريشاً تُريد مكة، حين ركبوا الإبل وجنبوا الخيل.

ولكن الرسول ﷺ القائد العظيم كان يتبع خبرهم، **فعرَف** أنهم أرادوا الكرَّة على المسلمين، **فحرَّك** إليهم الجيش، يُطاردهم حتى بلغ (حمراء الأسد)، فأمعنوا هرباً إلى مكة، **وعسكر** رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ثلاثة أيام .كعادته ..

ثم **رجع** بعد أن بدَّدَ انتصار قريش وفرحتهم، وكَسَر معنوياتهم، وأثبت لهم ولسائر العرب قوَّة المسلمين، وأن المسلمين هم المنتصرون في آخر المعركة، كما انتصروا في أولها.

❖ ومن **المواقف القيادية النبوية العظيمة**، ما حدث في غزوة (بني المصطلق) على ماء المريسيع في السنة السادسة للهجرة؛ يقول جابر بن عبدالله ﷺ: (كنا في غزاة، فكَسَع . أي ضرب برجله . رجل من المهاجرين ﷺ، رجلاً من الأنصار ﷺ، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين.

فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟، قالوا: يارسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ: دعوها فإنها منتنة. فسمع بذلك عبدالله بن أبي ابن سلول فقال: فعلوها؟، أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل. فبلغ النبي ﷺ، فقال عمر ﷺ: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدَّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه) [رواه البخاري ومسلم].

ولم يقتصر الرسول ﷺ على معالجة الموقف بالبيان، وإنما أمَرَ الجيش بالرَّحيل طِيلة اليوم حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض، فوقعوا نياماً، ليُشغل الناس عن الحديث في الفِتنة.

صفحة الموجز ١-٨-١

تاسعا: إنشاء وتأهيل الكَفَاءات العسكريَّة:

❖ إن **غاية** بطولات القيادات، أن يُديروا بنجاح عملهم العسكري ويحققوا أهدافه.
ولكن **القيادة النبوية** فوق ذلك كله، لقد صنعت مجتمعاً فرداً فرداً، وأسست دولة، وأنشأت جيشاً، ربَّته ودرَّبته ونظَّمته. فمَن أبو عبيدة، ومَن خالد، ومَن عمرو، ومَن سعد بن أبي وقاص قبل الرسول ﷺ؟!، إن غاية ما كان سيصل إليه أحدهم أن يكون بطل القبيلة وفارسها المِغوار، لكن أن يقود أمَّة ويَفتح دولة ويُخلِّد ذِكرى، ويتأهَّل للعز الأكبر عند الله ﷻ في الآخرة، فذلك ما لا سبيل لهم إليه إلا من مدرسة القيادة النبوية العظيمة.

❖ إنَّ **المتأمِّل** في **الرِّجال** الذين تربَّوا في بيت الرسول ﷺ، أنهم قادة ومن كبار رجال العسكرية الإسلامية، **وسِرُّ** ذلك هو التَّربية القِيادية المتميزة للقائد الأعظم ﷺ. **فهذا** علي بن أبي طالب ﷺ رجل الحرب الأول، **وهذا** مولى الرسول ﷺ زيد بن حارثة ﷺ أكبر قادة مؤتة الذي واجه (مائتي ألف) من الروم (بثلاثة آلاف) من المسلمين، ومن **بعده** ابنه أسامة قائد الجيش النبوي وفيه أبو بكر ﷺ وعمر ﷺ، وقد توفي ﷺ قبل أن يبعثه، فبعثه أبو بكر الصديق ﷺ.

❖ ومن الملحوظ في **الإدارة النبوية** (التفويض) في المسئوليات و(الإنابة) في القيادات، وذلك هو الأكثر في العمليات العسكرية التي تمت في حياته ﷺ، وقد شمل ذلك شخصيات كثيرة، وفي هذا إعداد للكفاءات وتأهيل لقيادات جديدة.

❖ **وكان** ﷺ **يُمكِّن** لقادته في (العمل)، فيمنحهم ثِقته، ولا يُعاقب مجتهداً أخطأ منهم، ولكنه يُبيِّن الحق والأولى، كما **فعل** ﷺ مع أسامه ﷺ حين قتل عدوَّه الذي أسلم أثناء المقاتلة، ظناً منه أنَّ إسلامه هذا لا اعتبار به، لأنه يُريد الفكاك من القتل [متفق عليه]، وكما **فعل** ﷺ مع خالد ﷺ حين قتل بني جذيمة الذين أعلنوا إسلامهم بقولهم: (صبأنا)، اجتهاداً منه ﷺ أنهم لم يُسلموا بهذه [رواه البخاري].

❖ **ومما يُمكِّن** للقادة والعاملين عدم (التَّحجِير) عليهم في تصرفاتهم، و(الحِماية) الرَّسميَّة لقراراتهم؛ فحين منع خالد ﷺ أحد المقاتلين معه من سَلَب قتيله لكثرته، وذكر ذلك عوف بن مالك ﷺ للرسول ﷺ، فأمر خالداً ﷺ بدفع السَّلَب كله لصاحبه.

صفحة الموجز ١-٨-١

ثم استغضب عوف ﷺ خالداً ﷺ على عدم دفعه السَّلَب من أول الأمر، فسمعه رسول الله ﷺ فغضب فقال: (لا تُعطه يا خالد، لا تُعطه يا خالد!، هل أنتم تاركون لي أُمرائي) [رواه مسلم].

قال الناظم:

لابدَّ من صُنع الرِّجال ومثله صُنع السِّلاح وصِناعة الأبطَال عِلْمٌ قد دَرَاه أولُو الصَّلاح

عاشرا: تَطبيق أفضل المبادئ العسكريَّة:

❖ إن **العمل العسكري** للرسول ﷺ لا يعرف العشوائية، بل هو عمل منَّظم وتخطيط مُتقن.

فمثلاً حين ازداد اضطهاد المشركين لأصحابه ﷺ بمكة، وجَّههم ﷺ إلى الهجرة إلى الحبشة، وما كان ذلك إلا عن علم واختيار مُحكم، إذا قال ﷺ لأصحابه: (إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه)، **ومعلوم** ما تتميَّز به الحبشة من انفصال عن الحرم والجزيرة؛ موقعاً، ودِيناً، ومصالحاً، مما يجعل المهاجرين في مأمن من تسلُّط قريش عليهم.

❖ ثم كانت **الهجرة العظمى** إلى **المدينة** باختيار محكم، حيث تتميز عن مكة بالاستقلال الاقتصادي، وأهلها أكثر تهيئاً لقبول دعوة الإسلام وحكمه، ربما لما يسمعونه من اليهود بالمدنية عن النبي المنتظر.

وقد تمَّت الهجرة بتخطيط مُتقن، **فقبلها** نشر الرسول ﷺ الإسلام في المدينة، عن طريق وفود الحج، وبإرسال الداعية الموفَّق مصعب بن عمير ﷺ إليهم، **وأيضاً** عقد البيعة مع أهل المدينة على الإتباع والنصرة.

❖ وقد كان **عقد البيعة** غاية في التَّنظيم والإحكام، يقول كعب بن مالك الأنصاري ﷺ: خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين، وقد صلَّينا وفقِهنا، وأوعدنا رسول الله ﷺ العَقَبة من أوسط أيام التشريق (١٢ ذي الحجة)، وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مَضَى ثُلث الليل خرجنا من رِحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب . وهو يومئذ على دين قومه . إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فتكلَّم العباس يُريد التَّأكد من حِماية الأنصار له إذا هاجر إليهم وإلا فليدعوه، ثم طلب الأنصار من الرسول ﷺ أن يتكلَّم ويشترط ما شاء، فتكلَّم، فَتَلا القرآن ورغَّب في الإسلام، ثم قال: (تبايعونني على السَّمع والطَّاعة، في

صفحة الموجز ١-٨-١

النَّشاط والكَسَل، والنَّفقة في العُسر واليُسر، وعلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأن تقوموا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة)، وقد طلبوا من الرسول ﷺ أن لا يتركهم إذا أظهره الله ﷻ. فوافقهم، ثم قاموا يبايعونه مصافحة واحداً تلو الآخر، أما النساء فبايعهنَّ بالكلام فقط، ثم قال: (أخرِجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم).

انقضى الأمر حسب ما خُطِّط له، فأمرهم النبي ﷺ أن ينفضُّوا إلى رحالهم، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا، لم يشعر بهم أحد من القوم [رواه الإمام أحمد].

❖ **ومنذ ذلك** الوقت والرسول ﷺ **يُحرِّك** إلى المدينة وفود المهاجرين من أصحابه ﷺ، ويستعد للإذن الرَّباني له بالهجرة.

❖ وحين **خرج** ﷺ **مهاجراً** إلى المدينة، كان قد اختار **الرَّفيق** . أبو بكر الصديق ﷺ .، وأعدَّ **الرَّواحل**، يعلفها أبو بكر ﷺ ورَق السَّمر أربعة أشهر، وقد رَسَم طريق **السَّير** ومكان **التَّخفي** (غار في أعلى جبل ثور جنوب مكة، عكس اتجاه المدينة)، وأعدَّ **مؤنتهما** بالزَّاد قبل الخروج: (أسماء، وعائشة، ابنتا أبي بكر ﷺ)، أما **الخادم** مسئول الإمداد والتموين في الغار فهو (عامر بن فهيرة ﷺ، مولى أبي بكر ﷺ)، كان يرعى عليهما منحة من غنم، فيشربان منها ليلتهما، وأما مسئول **الاستخبارات** فهو (عبدالله بن أبي بكر ﷺ، وكان شاباً فطِناً) يطوف بمجالس مكة نهاراً، ثم يبيت مع الرسول ﷺ وأبيه ينقل لهما الأخبار، وقبل الصبح يفارقهما، وأما **الدليل** فهو (عبدالله بن أُريقط . من بني الدِّيل . وكان هادياً خِرِّيتا) فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه بعد ثلاث ليال ساعة معينة.

❖ ومنذ **قدم الرسول** ﷺ **المدينة** بدأ **ببناء مركز القيادة**، جاعلاً بيوته جِوار مسجده، وكان يشارك بنفسه في البناء، ووضع نظام **المؤاخاة** بين المهاجرين ﷺ وبين الأنصار ﷺ، ثم عقد **معاهدة** مع اليهود على المسَالَمة والمنَاصَرة، تأميناً لقاعدته التي ينطلق منها. ثم بدأ نشاطه **الحربي** ضد قريش، فابتدأت سراياه منذ السنة الأولى للهجرة.

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وإن من **أهم** ما يحرص عليه الرسول ﷺ في حياته العسكرية **إعداد القوة**؛ سواء من الناحية الرَّوحية والإيمانية، أو من ناحية التَّسليح أو التَّدريب، أو القوَّة المالية.
فلقد كانت **توجيهاته** ﷺ تبعث في نفوس جنوده الشَّجاعة والتَّشرف بالعمل العسكري، كقوله ﷺ: (من مات ولم يغزو، ولم يُحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق) [رواه مسلم]، وقوله ﷺ: (رباط يوم وليلة، خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جَرَى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجرِي عليه رزقه، وأمِن الفتَّان) [رواه مسلم]، وهذا من أعظم **التوجيهات** في الإعداد والتهيؤ لطوارئ الحرب.

❖ وأما من ناحية **التَّصنيع العسكري، والتَّسليح، والمراكب القتالية، والتَّدريب**، فقد شجَّع الرسول ﷺ على تربية الخيل، حتى جعل للفارس ثلاثة أسهم في الغنيمة، للفرس سهمين، ولصاحبه سهماً [متفق عليه]، وقال ﷺ: (من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شِبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) [رواه البخاري]. وقال ﷺ مشجِّعاً على **التَّصنيع العسكري**: (إن الله يُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة؛ صانعه يحتسب في عمله الخير، والرامي به، ومنبله) [رواه أحمد وأصحاب السنن].

❖ وكان ﷺ يعتني **بالتدريب العسكري** وبخاصة **الرَّمي**، حتى قال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوَّة؛ ألا إنَّ القوَّة الرَّمي، ألا إنَّ القوَّة الرَّمي، ألا أنَّ القوَّة الرَّمي) [رواه مسلم]، وشجع على **مسابقات الرَّمي**، فقال لنفر مرَّ بهم ينتضلون: (أرموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (لا سَبق إلا في نصل، أو خُفٍّ، أو حَافِر) [رواه أحمد وأصحاب السنن]، وعن ابن عمر رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ سابق بين الخيل المضمرة من الحفيا إلى ثنِيَّة الوداع، وبين الخيل التي لم تُضمر من الثنيَّة إلى مسجد بني زريق) [متفق عليه].

❖ وقرر ﷺ مبدأ **استمرار التدريب**، فقال: (من تعلَّم الرمي، ثم تركه فليس منا، أو فقد عصى) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (ستفتح عليكم أرضون . ويكفيكم الله . فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ وأكد ﷺ على **السلامة في التدريب والعمل**، فنهى أن يُتعَاطى السَّيف مسلولاً [رواه أبو داود والترمذي].

❖ وللرسول ﷺ توجيهاته التي تُحرِّض على **استثمار الأرض والعمل التجاري، وتحقيق الاكتفاء الاقتصادي**، لتتكامل القوة الإسلامية؛ ولذا حثَّ الرسول ﷺ أصحابه ﷺ حين قدم المدينة على أن يشتروا بئر رومة من اليهود، فاشتراها عثمان بن عفان ﷺ وحفرها وجعلها صدقة للمسلمين.
وبإعداد القوَّة وإظهارها حقق الرسول ﷺ مبدأ **الرَّدع الوقائي والإرهاب للأعداء** الظاهرين والباطنين، كما قال الله عز وجل: (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ**) [الأنفال:٦٠]، حتى كان يخافه العدو الذي بينه وبينه مسيرة شهر.

❖ ولقد كان النبي ﷺ يعتني **بالاستطلاع والاستخبار** على العدو، وجمع المعلومات ورصد الأخبار عنه، وكانت له سرايا عديدة خاصة بهذا الغرض، وله عيون مبثوثون في مختلف الأنحاء، ولذا تصله في وقت مُبكِّر أخبار الأعداء، قريبهم وبعيدهم، وعليها يبني قراراته.
وفي **غزوة بدر** جاءت طلائعه بغلام لقريش يسقي لهم من ماء بدر، فحقَّق معه الرسول ﷺ وجهد أن يُخبره كم هم؟، فأبى، فسأله كم ينحرون؟، فقال: عشراً من الإبل كل يوم، فقال ﷺ: (القوم ألف، كل جزور لمائة ونيِّفها) [رواه أحمد وأبو داود].

❖ وكان ﷺ كثير الأخذ **بالشورى**، يقول أبو هريرة ﷺ: (ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ) [رواه احمد]؛ **ومن ذلك**: مشاورته أصحابه ﷺ في الخروج لبدر، وفي أسرَاها، وفي الخروج إلى أحد، وفي قتال الممالئين لقريش يوم الحديبية، وقد أخذ برأي الأكثرية في الخروج إلى أحد، وترك رأيه في القتال من داخل المدينة.

❖ وفي مُقدِّمة اهتماماته وأهدافه العسكرية، **سلامة وأمن قواته**؛ ولذا يُقيم الصلاة مع جيشه فيتجوَّز فيها ما لا يتجوَّزه في غير الحرب، ويتَّخذ الحِراسات على جيشه وعلى مركز قيادته، ويوفِّر الدِّفاعات الجيدة، والوسائل الواقية، والمنافذ للخطر.

صفحة الموجز ١-٨-١

ففي **غزوة أحد** لبس ﷺ درعين، وجعل ظهور قواته إلى جبل أحد، واختار من الجيش خمسون رامياً ماهراً جعلهم إلى اليسار من ظهور المسلمين، لحماية ظهورهم، وبخاصة من خيل العدو، فكان الجبل مُعتَصماً للجيش الإسلامي حين الهزيمة.

وفي **غزوة الأحزاب** اتَّخذ الرسول ﷺ خندقاً عظيماً حفره وأصحابه شمال المدينة؛ لأنها المنطقة الوحيدة المكشوفة ليس بها حِرار ولا أشجار أو أبنية، ليُعيق زحف جيش العدو على المدينة، وجعل ظهور جيشه إلى جبل سلع بالمدينة، ووضع النساء والأطفال في حصن فارع لبني حارثة، وهو أقوى الحصون بالمدينة.

❖ ومن **الأساليب الوقائية** التي استعملها الرسول ﷺ، **كلمة السِّر، والإشارة؛** فكانت كلمة السِّر لجيشه **ببدر**: (أَحَد، أَحَد)، وفي **أُحُد**: (أمت، أمت)، وفي **الأحزاب**: (حم، لا ينصرون).

وأما **الإشارة**، فحين بلغه ﷺ بوادر الحرب والخيانة من بني قريظة أيام الأحزاب، بعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وخوات بن جبير، وعبدالله بن رواحة ﷺ، فقال لهم ﷺ: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟، فإن كان حقاً **فالحنوا** لي لحناً أعرف، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه بذلك.

❖ وحرص الرسول ﷺ على **السِّريَّة** في عملياته وتدبيراته العسكرية، **ومن ذلك**: أنه ﷺ حين أرسل عبدالله بن جحش ﷺ في سَريَّة لاستطلاع أخبار قريش في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، دفع إليه كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما فتحه بعد يومين وجد فيه الأمر بالمسير إلى نخلة بين مكة والطائف، ليرصد أخبار قريش.

❖ وبالسِّريِّة استطاع الرسول ﷺ أن ينجح في تطبيق مبدأ **المباغتة لعدوه؛** سواء من حيث الوقت أو المكان أو الأسلوب والخطة، وهو مبدأ هام يقوم على مخالفة ما يتوقعه العدو. **ومن ذلك**: أنه حين بلغه أن الحارث بن أبي ضرار رئيس بني **المصطلق** يجمع الجموع لغزو المسلمين في المدينة، فأرسل ﷺ بريدة بن الحصيب ﷺ للتَّأكد، فصدَّق الخبر، فأغار النبي ﷺ عليهم وهم غارُّون، وأنعامهم تَسقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسَبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية أم المؤمنين ﷺ [رواه البخاري ومسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

وكذلك فعل بيهود **خيبر** الذين جرُّوا الأحزاب على المدينة، فباغتهم وهم يخرجون الصباح بمساحيهم ومكاتلهم، فحاصرهم وهزمهم.

وحين عزم على **فتح مكة** لم يظفر منه سفراء قريش لتجديد الصُّلح بخطاب، ثم حشد جيشاً قوامه عشرة آلاف، في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وأرسل طليعة إلى بطن أضم للتَّعمية على مقصده، وسار حثيثاً عاشر رمضان، حتى فاجأ قريشاً يوم السابع عشر منه، فسلَّمت له.

❖ **وللخدعة** شواهد كثيرة في العمليات العسكرية للرسول ﷺ، بل أخبر أنها أساس في الحرب فقال ﷺ: (الحرب خدعة) [رواه أحمد وأصحاب السنن].

يقول كعب بن مالك ﷺ: (كان النبي ﷺ قلَّما يُريد غزوة يغزوها إلا ورَّى بغيرها) [رواه البخاري]. ومن **أحسن الشواهد** على تطبيق الخدعة والتمويه والسرية، قصَّة **الهجرة النبوية؛** فحين أخبر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ بدار هجرتهم المدينة، بدأ بتحريك المسلمين إليها، وأنظر أبا بكر ﷺ ليصحبه، ففرح أبو بكر ﷺ وقام بالاستعداد لذلك، وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر. تقول عائشة ﷺ: (فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنِّعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرا، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال لأبي بكر: أخرِج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله؟، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصُّحبة بأبي أنت يا رسول الله؟، قال: نعم)، ثم ذكَرت ﷺ تجهيزها وأسماء ﷺ إياهما، ولحوقهما بغار جبل ثور، ومدة ذلك، ومن كان يأتيهما بأخبار قريش، ومن يرعى عليها الغنم ليشربان من لبنها، وذكَرت الدَّليل وميعادهما له، والطريق الذي سلكه بهما، ثم ذكَرت مسيرهما إلى المدينة [صحيح البخاري]، وربما لقي أبو بكر ﷺ من يعرفه، فإذا سأله عن الرسول ﷺ قال: (هذا الرجل يهديني السبيل)، فيحسب أنه يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

وحينما أدركهما سُراقة بن مالك الجعشمي، فحماهما الله ﷻ منه، وناداهما بالأمان، قال له الرسول ﷺ: (أخفِ عنا)، فرجع سُراقة لا يَلقَى أحداً إلا قال: (قد كفيتكم ما ها هنا) [رواه البخاري ومسلم].

صفحة الموجز ١-٨-١

❖ ومن يطَّلع في مغازي الرسول ﷺ يجد **التَّرتيبات الإداريَّة** لعمله العسكري، **ومن ذلك:** وضع شروط واختبار للالتحاق بالقوَّات، حتى كان يستعرض المتقدِّمين للغزو ويختبر كفاءتهم ويسأل عنهم، ولذا ردَّ عبدالله بن عمر رضي الله عنه في **بدر** و**أُحد** لصغر سِنه، وأجازه في **الأحزاب** [رواه البخاري ومسلم].

❖ **وكان** ﷺ يستخدم **الكِتابة** في الالتحاق بالقوات، كما في حديث المستفتي في الحج القائل: (إني اكتُتِبت في غزوة كذا وكذا، وإن امرأتي خرجت حاجة؟، فقال له الرسول ﷺ: انطلق فحج مع امرأتك) [رواه البخاري ومسلم].

❖ ومن **الترتيبات الإدارية:** تعريف العُرَفاء، وتنظيم التسلسل القيادي، ولذا قال ﷺ للذين وافقوا على ردِّ سبي **حُنين:** (إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم) [رواه البخاري].

❖ **وكان** ﷺ يحتاط **للطوارئ،** كما فعل في قيادة جيش **مؤتة،** لخطر المواجهة وبُعد الوُجهة، فجعل القيادة بين ثلاثة: زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم.

❖ **وكان** ﷺ يعتني **بتخطيط المعركة،** كما ذكر الله ﷻ عنه في معركة **أحد: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ)** [آل عمران:١٢١].

❖ **وكان** ﷺ في الحروب يُركِّز على **هدفه،** ويحشد القوَّة لذلك، ويحافظ على طاقات الجيش أن تتبدد هدرا، فبعد أن عدَّل الصفوف في **معركة بدر،** أمرهم أن لا يبدؤوا القتال حتى يتلقوا أمره الأخير، وقال لهم: (إذا أكثبوكم ـ أي كثروا عليكم ـ فارموهم، واستبقوا نبلكم، ولا تسلُّوا السيوف حتى يغشوكم) [رواه البخاري].

❖ **وكان** ﷺ يُطبِّق **الإرهاب النفسي** لعدوه، **ومن ذلك:** أسلوب المطاردة للعدو، كما فعل بجيش أبي سفيان في غزوة (السّويق)، وعقب (أحد)، وكما فعل بهوازن وغطفان عقب (حُنين).

صفحة الموجز ١-٨-١

ومن ذلك: البقاء مدة على أرض المعركة أو بأرض العدو لإرهابهم، كما في غزوة (ذي أمَر) ضد غطفان المحتشدين للغارة على المدينة، فباغتهم النبي ﷺ ففروا، وعسكر في المكان شهراً ثم رجع، وفي غزوة (بحران) ضد بني سليم، باغتهم فتفرَّق حشدهم، وعسكر في المكان شهرين ثم رجع، يقول أبو طلحة رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ إذا ظهر على قوم، أقام بالعرصة ثلاث ليال) [رواه البخاري].

❖ ومن **الإجراءات العسكرية** النبوية عند التغلب على ديار العدو؛ حظر التَّجول، **طبَّقه** الرسول ﷺ في (فتح مكة)، فقال حين دخلها منتصراً: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن)، وهذا يعني أن من لم يدخل كذلك فهو غير آمن من المؤاخذة.

ومن **الإجراءات أيضاً:** نزع أسلحة العدو، كما فعل ﷺ عندما حاصر يهود بني النضير الخائنين، فنزلوا على حكم الجلاء من المدينة، وعلى أن لهم ما حملت الإبل، إلا السلاح منعهم من الخروج به.

❖ ومن **المبادئ القتالية** التي يُطبقها الرسول ﷺ، **الحرب الشاملة وتفتيت قوة العدو**، فإن القوَّة العسكرية تَستمد من مصادر متعددة، فالتأثير على المصادر الرئيسة للقوة يُسهِّل عملية السيطرة العسكرية على العدو؛ ولذا **طبَّق** الرسول ﷺ ضد قريش أنواعاً متعددة من الحرب، من أهمها الحرب **الاقتصادية**، ولذلك كانت غزوة (بدر) موجَّهة ابتداء للاستيلاء على قافلة أبي سفيان. كما استعمل ضدهم الحرب **الإعلامية والنفسية**، فكانت قصائد حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه بتحريض من الرسول ﷺ أشد عليهم من وقع النبال، وكان ﷺ يُرشد حسان رضي الله عنه للاستفادة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه في معرفة أنساب قريش ومثالب المشركين ليهجوهم. وفي الجانب **السياسي** كان للرسول ﷺ من التَّحالفات والمعاهدات ما قوَّى جانبه وأضعف جانب عدوه وقطع الطريق عليهم، **مثل:** معاهدته لليهود منذ أن دخل المدينة، ومعاهداته للقبائل المجاورة لقريش، كبني ضمرة، وبني مُدلج.

❖ **وكانت** عمرة الحديبية ضربة سياسية ناجحة؛ فإن **دخل** مكة معتمراً مع قواته كان عِزَّاً وتعالمت به العرب، وإن **منعته** قريش كان فضحاً لهم أمام الناس بأنها تصد عن البيت الحرام قاصديه، كما كسب ﷺ بصلح الحديبية الاعتراف الرَّسمي من قريش بالكيان الإسلامي.

صفحة الموجز ١-٨-١

إنَّ النجاح العظيم الذي حققه الرسول ﷺ حتى جاوزت رسالته الإلهية حدود الجزيرة العربية، رغم العمر القصير لعملياته الحربية . في عشر سنين فقط . إنما كان ذلك بعد توفيق الله ﷻ بسبب التَّخطيط الحكيم، والمبادئ العسكرية الصحيحة المتميزة التي يطبقها الرسول ﷺ.

إنَّ الرسول ﷺ ليس قائداً عادياً، ولكنه فاتح مُعلِّم جاء ليغرس عقيدة صحيحة، ويُقيم حضارة عالمية، وقد ترك فِكراً عسكرياً شاملاً مِثَاليَّاً، لا زال الباحثون يغترفون من معينه، وعليه كان نصر الأمة وسيادتها.

إنَّ دارساً للعسكرية مُتطلِّعاً إلى أسمى معانيها وأرقى مبادئها، لم يحظَ بدراسة الحياة العسكرية للرسول ﷺ، فما شفى ولا بلغ.

انتهى المقرر

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

صفحة الواجب ١-٨-١

س١: عدد (خمس) من الصفات القيادية في الشخصية العسكرية للرسول ﷺ.

س٢: تكلم عن الحب الجم من الرسول ﷺ للعمل العسكري.

س٣: تكلم عن القدرة العالية للنبي ﷺ في جانب الإقناع والتحفيز.

س٤: من أكبر شواهد الذكاء وبعد النظر للقيادة النبوية قصة صلح الحديبية الذي أجراها النبي ﷺ مع قريش، وضح ذلك.

س٥: تكلم عن مبدأ التخطيط في العمل العسكري للرسول ﷺ.

س٦: من الأمور التي درستها عن المثل الأعلى ﷺ: تطبيق أفضل المبادئ العسكرية، تكلم عن ذلك باختصار.

المراجع

١– السيرة النبوية لابن هشام.

٢– السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.

٣–فقه السيرة لمحمد الغزالي.

٤– القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ لعبدالله محمد الرشيد.

٥– تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٦– العسكرية الإسلامية لجمال الخلفات وبهاء الدين محمد أسعد.

٧– عقبة بن نافع لمحمود شيت خطاب.

٨–عوامل النصر والهزيمة لشوقي أبو خليل.

٩– إعداد الجندي المسلم لعبد الله العقلا.

١٠– الجهاد في سبيل الله لمحمود دروزة.

١١– الرسول القائد لمحمود شيت خطاب.

١٢– الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق.

١٣– العسكرية العربية الإسلامية لمحمود شيت خطاب.

١٤– قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية لأحمد راتب عرموش.

الفهـرس

الموضـــوع	الصفحة	الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	١	الصفات المؤهلة للقيادة	٦٣
فضل العلم الشرعي	٣	مهمات القائد	٦٩
آداب طلب العلم	٤	واجبات على عامة الجيش	٧١
أهداف العسكرية الإسلامية	٧	النبي ﷺ المثل الأعلى للعسكرية	٧٥
أخلاق العسكرية الإسلامية	١٠	التعلق التام بالله ﷻ	٧٧
وجوب إعداد القوة	١٩	الحب الجم للعمل العسكري	٧٩
فوائد إعداد القوة	٢٠	اللياقة البدنية العالية وقوة التحمل	٨٠
مطالب إعداد القوة	٢١	الشجاعة الباهرة	٨١
أسباب النصر	٢٦	الخلق العسكري العظيم	٨٤
أهمية الأسباب للنصر	٢٦	القدرة العالية على الإقناع والتحفيز	٨٧
أسباب النصر الدينية	٢٧	الذكاء وبعد النظر	٩١
أسباب النصر الدنيوية	٣١	السيطرة على المواقف وحل المشكلات	٩٣
مبادئ في علم الحرب	٤٣	إنشاء وتأهيل الكفاءات العسكرية	٩٥
معالجة الهزيمة	٥٤	تطبيق أفضل المبادئ العسكرية	٩٦
القيادة العسكرية	٦٣	المراجع	١٠٦
أهمية القيادة العسكرية	٦٣	الفهرس	١٠٧